جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا

كلية الدراسات العليا

ترجمة الفصول (6-8) من كتاب
(البحث عن سلوى)
سيره ذاتية للكاتب عبدالله يوسف علي
مترجم القرآن
لمؤلفه:م .أ شريف

A Translation of Chapters (6-8) of the Book Entitled:

(Searching for Solace)

A Biography of

Abdullah Yusuf Ali

Interpreter of the QURAN

BY M.A Sheri

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الترجمة

إعداد الطالب :
محمد محمد الحسن الفاضل

إشراف الدكتور:
محمود علي أحمد

2016 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإستهلال

قال تعالى :

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ صدق الله العظيم.

سورة يونس : الآية (5)

إهـــــــــداء

إلى من أجزل إليَ العطاء
إلى من أبى إلا نجاحي
والدي العزيز حفظه الله

إلى النهر الذي يفيض حنان
إلى من رأتني بقلبها قبل عينها
والدتي العزيزة حفظها الله

إلى من هم سندي في هذه الحياة
إخوتي وأخواتي الأعزاء

إلى مثال الصبر والوفاء
زوجتي العزيزة

شكر وعرفان

الحمد لله من قبل ومن بعد على ما وفق ويسر وعلى ما سخر وسهل وأعان وقدَّر ، فلك الحمد والشكر ولك الثناء على توفيقك ونعمتك ومنَّك والعافية ، والصلاة والسلام على نبيه محمد ورسوله الأمين معلم البشرية .

يسرني أن أتقدم بوافر الشكر والعرفان والتقدير لتلك المؤسسة العريقة العتيقة جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا .

كما يسرنى ايضا ان اتقدم بوافر شكرى وتقديرى لاساتذتي الاجلاء وعلى وجه الخصوص أستاذي العزيز، **الدكتور/محمود علي أحمد** لاشرافه على هذا البحث.

والشكر لأساتذة جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا وأسرة كلية الآداب – قسم الترجمة والقائمين على مكتبة جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.

مقدمة المترجم :

تعتبر الترجمة ومنذ قديم الزمان ، جسراً للتواصل وتبادل الثقافات مع الشعوب الأخرى ولنقل آرائهم وأفكارهم . وتعتبر الترجمة إناءا واسعاً للعلم والثقافة والمعرفة ومن هذا المنطلق برزت أهميتها لتقوم بمهام تبادل المعرفة والثقافة مع الآخرين الذين يحتاجون اليها في حياتهم اليومية .

تناول كتاب البحث عن سلوى ، السيرة الذاتية للكاتب عبدالله يوسف علي الذي بذل عصارة جهده وعمره في خدمة نشر وتفسير وترجمة القران الكريم والصعوبات التي واجهته عند احتكاكه مع الشعوب الاخرى وماعاناه من صعوبات في سبيل تحقيق هدفه السامي .

اقتضت الدراسة ان يترجم الباحث الفصل السادس من الجزء الاول والفصول السابع والثامن من الجزء الثاني من الكتاب والذي يحتوي على جزئين ، الاول يحتوي على الفصول من (1-6) والثاني يحتوي على الفصول من (7-10) واجتهد المترجم في ان يكون امينا ودقيقا وحريصا على مراعاة خصائص اللغة العربية عند النقل اليها .

المستخلص:

تناول الدارس موضوع البحث وذلك من خلال ترجمة الصفحات من 119 الى 169 من كتاب البحث عن سلوى ، وهو يتناول السيرة الذاتيه للكاتب عبدالله يوسف على مترجم القران الكريم للكاتب م . أ شريف .

ويحتوى الكتاب على جزئين ، الجزء الأول يتناول الإعتبارات المتعلقة بالسيرة الذاتيه للكاتب عبدالله يوسف على ويحتوى على 6 فصول وهى : الفصل الأول : المؤسسات - الفصل الثانى: المتشابهات - الفصل الثالث : فى خدمة التاج . الفصل الرابع : رجل المهام - الفصل الخامس: من جنيف الى لاهور .الفصل السادس : الروح القلقه .

الجزء الثانى من الكتاب بعنوان : المساعى . يحتوى على الفصول من السابع إلى العاشر وهى الفصل السابع : القضايا التربوية - الفصل الثامن : عالم مرتب على نحو جيد -الفصل التاسع: القرآن كدليل. الفصل العاشر: الخلاصة

Abstract

The researcher tackles the topic of solace through translation of the pages (119- 168) from the book (searching of solace) A biography for Abdullah Yusuf Ali, Interpreter of the Quran, By Masher if.

The book contains two parts, the first is entitled: biographical Account and contains of six chapters: the first, foundation. The second Entanglements . The third, in the service of the crown. The fourth, man of many parts .The fifth, from Geneva to Lahore. The six's, Unquiet sprit.

The second part of the book entitled: Endeavour and contains of the chapters from seven to ten. Seventh: Educational causes. The Eighties: A well-ordered world. The Ninth: Quran as Guidance .The Tenth: Conclusion

فـهـرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإستهلال	أ
الإهداء	ب
الشكر والعرفان	ج
مقدمة المترجم	د
ملخص البحث	هـ
Abstract	و
الجز الاول : الاعتبارات المتعلقة بالسيرة	
الفصل الاول: الروح القلقة	1
الجزء الثاني : المساعى	
الفصل الثاني: القضايا التربوية	29
الفصل الثالث: عالم مرتب على نحو جيد	40
المراجع	48

الجزء الأول

إعتبارات متعلقة بالسيرة

الفصل الاول

الروح القلقة

الروح القلقة

كانت الهند والعالم أجمع يخوض غمار الكارثة خلال الاعوام ١٩٣٦م و١٩٣٧م ويرزح تحت وطأة الأزمة. وكانت المؤسسات الوحيدة التى ينظر إليها يوسف علي – كرموز للنظام والفهم الجيد، وهى الحكم الملكى البريطانى وعصبة الأمم – قد وقفت عاجزة عن فعل شيء. إن العالم الجميل الذى عرفه وأحبه كان مثل السير على محيط متجمد ثم الإستضام والمواجهة بجبل ثلجى هائل. فالحرب الأهلية الأسبانية (١٩٣٦–١٩٣٩م)، وثورة المسلمين فى فلسطين (ابريل ١٩٣٦م)، غزو إيطاليا لأثيوبيا (ابشانيا ١٩٣٥–١٩٣٦م)، عملية ادعاء هتلر فى إقليم رايندلاند غرب ألمانيا من جديد (مارس ١٩٣٦)– كل هذه الأحداث كانت تمثل قائمة من النذر التى تشكل المناخ السياسى بالعديد من الإحتمالات، وحتى الحكم الملكى البريطانى لم يكن كما ينبغى، فقد توفى جورج فى يناير ١٩٣٥م تاركاً مشكلة إعجاب أمير ولز الشديد بوالس سمبسون، زوجة رجل الأعمال الأمريكى. وقد أصبحت تظهر بجانب الملك فى المناسبات الملكية، بالرغم من أنهما لم ينفصلا حتى أكتوبر من ذلك العام. وقد لزمت الصحافة البريطانية الصمت الجبان عن تلك العلاقة حتى ديسمبر ١٩٣٦م، ولكن بعد ذلك انتشرت القصة. أصبحت فضائح العائلة المالكة الرومانسية الآن على الملأ. فإصرار ادوارد الثالث على الزواج من المطلقة أثار كارثة دستورية فى بريطانيا وشكل مرارة شخصية له، حيث أجبر على التنازل عن العرش لمصلحة شقيقه الأصغر، جورج الأول الذى توج فى مايو ١٩٣٧م.وظل الرآى العام الهندى مثير للريبة ، خاصة عندما أصبحت الخطط تؤدى إلى إستضافة ادوارد فى الهند للتويج التقليدى.

لقد أصبحت سمعة الحكم الملكى البريطانى ملوثة وأصبح يوسف علي، ملكى متحمس، وأصبحت أحاديثه ومواضيعه فى حرب ١٩١٤م موضع إعجاب شديد لكل من جورج الثانى والملكة ميرى. وقام بإدخال تعبير– اورد – (شاهرا المبارك) و (وجه مثير للشك)– إلى

الإذاعة البريطانية كإشارة إلى الملك. وبحلول عام ١٩٣٧م كان يوسف علي لايزال فى ريبة من أمره وكأنما شيىء لم يتغير فى الخمس والعشرين عاماً الماضية.

وقد خاطب إجتماع أنصار الملكية الذى انعقد فى كنسنتون فى يوليو ١٩٣٧م والذى أعطى الأسرة المالكة مزية ونقاوة. وتسبب إحساسه بالولاء للحكم الملكى فى إغفاله عن التضاربات الواضحة. أما النقطة المخفية الأخرى عن يوسف علي، وحتى بعد الإشكالات الأخيرة فى الكلية الإسلامية، فقد تمثلت فى قوة حركة استغلال الهند. حيث تعلق برؤية سياسية تنتمى إلى بيقون ادواردیان البريطانى.

وبما أن الهند تمثل جزء لايتجزأ من الإمبراطورية وتشارك فى كل المزايا والإرتباطات مع الحكم الملكى – من وجهة نظر يوسف علي – فربما تكون هنالك بعض المخاوف من أشكال السياسة المنفتحة فى البلد. ولكن بدون شك، فإن الحكم الملكى يعتبر أساس القوة والإستقرار للهند، والتعبير (الإمبراطورية الهندية) قد وجد رواجا بلمعان إنعكاسات السيادة والكرامة فى البلد والتى ربما لا تستمتع بها بطريقة أخرى. .وأردف يوسف علي قائلا : ‘‘لقد أحسست بقناعة أننا فى حقيقة ماثلة وهى أن الحكم الملكى فى عمل دؤوب ضد الثورة العاجلة، الرباط التاريخى بين مختلف الناس ورمز الإستقرار والوحدة الواعدة’’ .

وكانت الجهة السياسية الهندية الوحيدة التى تستطيع منح تصديق لمثل وجهات النظر هذه، هى إتحاديو البنجاب، التى ترأس وزيرها السابق، السيد فيروز كان نون، إجتماع إتحاد أنصار الملكية على نفقته كمندوب سامى للهند، وبعدها أصبح يوسف علي بعيدا عن مجريات الأحداث فى الهند بشكل كبير، حتى عندما تحدث بأن الهند تمر بتغيرات دراماتيكية. وفى انتخابات ١٩٣٧م فاز السيد سكاندر ومجموعته الإتحاديون بالأغلبية الإسلامية فى البنجاب، ولكن هنالك ثمانية مقاطعات أخرى ذات أقلية مسلمة تم ضمها إلى مجموعة الكونجرس، بما فى ذلك ال(اليو بي).

وقد لفت نظر المسلمين، رفض الكونجرس أى مشاركة للسلطة مع الإتحاد الإسلامى. وفى البنجاب فإن التحالف بين الإتحاديين والإتحاد الإسلامى قد تم تزويره، وتم إغلاق الرتب مما أعطى مسلمى الهند إحساس عميق بالأمن أكثر من أى عقيدة وملك أجنبى. دعم يوسف علي للإمبرطورية والملكية وجهه إلى أنشطه السيد الزوج الصغير، فرانسيس، رجل المدرسة القديمة الإنجليزى، الذى آمن بأن هنالك غموض ، وأسباب معنوية تسند الطموح الإمبراطورى البريطانى. تبنى السيد فرانسيس فكرة (معتقدات الكونجرس) بشدة، بعد الإتصال بسوامى هندى. وقام بتكوين المجلس الوطنى البريطانى من سبعة عشر عضوا، للتخطيط لأول مجلس دولى للزمالة العالمية والذى عقد فى الكلية الجامعية، لندن فى يوليو ١٩٣٦م وافتتح برسالة شخصية من ادوارد الثالث. وكان المسلم الوحيد، الممثل فى المجلس هو شيخ عبدالقادر، النقابى السابق الآخر فى لندن، وهو الآن مستشار وزير خارجية الهند – ويبدو ان الحكومة البريطانية لا تريد أن تكون خلف الدائرة الضيقة للموالين للإعلام فى الهند، الذين ربما قاموا بالتحضير لمشاركة يوسف علي. تمت دعوة يوسف علي للمرة الثانية كممثل للمسلمين فى مؤتمر (ثقة الكونجرس) السنوى، الذى عقد فى أوكسفورد فى يوليو ١٩٣٧م، والذى برز فيه متحدثون، من بينهم بودهست مونج اى مونج، ووليام اسبيرى، عميد مدرسة اللاهوت بجامعة هارفارد .

وكان هيربرت سمويل، رئيسا للمجلس الوطنى البريطانى ، ويعمل كذلك ممثل لليهودية فى الإجراءات. وكانت المناقشات السرية فى الكونجرس مغايرة للحقائق السياسية فى الواقع المعاش. وكما هو الحال بالنسبة للسيد فرانسيس، فان يوسف علي كان متحمساً بشدة لفكرة الزمالة الروحية ، التى إنطبقت تماما مع وجهة نظره العالمية عن الإنسجام بين الهند وبريطانيا. استمر يوسف علي فى كفاحه بتطلعاته التنبوئية " إن مفهوم العقيدة الصحيح، يجب أن يعمل لأجل السلام عن طريق مساندة، حق العدالة، والمساواة بين الناس. وحمله الإحساس بنفس المهمة إلى حضور مؤتمر فى جنيف عن (السلام عبر العقيدة) فى بداية سبتمبر بزعامة عصبة الأمم حيث لقب بزعيم المسلمين.

تحدث يوسف علي طوال العام ١٩٢٠م مدافعاً عن عصبة الأمم كمؤسسة سامية لتحقيق التعاون الدولى والترابط العالمى. كما عمل كذلك كعضو نشط بوفد الهند فى مؤتمرها فى ١٩٢٨م. وتعتبر عصبة الأمم إحدى المؤسسات المعاصرة القليلة التى أشير إليها فى تفسير القرآن، وذلك فى المناسبة الأولى التى تم نشرها فى أكتوبر ١٩٣٦م والتى احتوت على ترجمة (سورة النور).وعلى كل حال، فإن عدم مقدرة عصبة الأمم لإتخاذ خطوات ضد الإنتهاكات الإيطالية فى ابسينيا، قد هز ثقته. وأشار إلى عصبة الأمم فى المنشور الذى نشره فى يوليو١٩٣٧ بأنها فاشلة ومثالية ثبت خطأها. وحقق حديثه فى مؤتمر جنيف عن (السلام عبر العقيدة) السلام العالمى والإنسجام فى التعاون بين الولايات المتحدة والإمبراطورية البريطانية. وتمثل لغتهم المعتادة – الإنجليزية – المفتاح لتحقيق التفاهم السياسى .

وفى طريق عودته إلى لندن، توقف يوسف علي فى العاصمة الفرنسية لحضور معرض باريس. وقد صدم لوجود الجناح الخاص بفلسطين وتحمل لافتته التعبير(أرض اليهود)، إنها لحظة إيحاء. ولم يمضى كثير من الوقت فى التحدث عن القضية الفلسطينية بلندن. حضر منذ أكتوبر ١٩٣٧م وحتى نهاية العام عديد من الإجتماعات لتوضيح وجهة نظر المسلمين. وقد لمست مقترحات لجنة النزع، المتعلقة بتقسيم فلسطين وإقامة دولة اليهود فى الأراضى الأكثر خصوبة، وتراً حساساً لدى يوسف علي. وأحس بإحباط لأن فلسطين أصبحت منطقة إنتداب بريطانى. والمناطق التى تحدث فيها يوسف علي ضد مقترحات النزع تتضمن الشرق الأوسط والأدنى المشتركة قائد حركة السلام الجديدة فى كامبردج، ونادى الروترى فى بريثتون. وإذا كان جوهر، على قيد الحياة لألهب حماس يوسف علي وربما استغرب أن صفحة قد نزعت من كتاب ‘‘خلافاتست’’. وأوضح يوسف علي أن فلسطين تعتبر جزء من جزيرة العرب وليس هنالك مسلم يسمح برؤيتها وهى تعطى لأناس من قطر آخر. واستهجن فى نفس السياق الخطوات التى اتخذت ضد ثورة العرب، مثل إدخال ‘‘ المحكمة السرية ’’ وتعديل القانون ليسمح بصلاحية الدليل غير المؤيد ورفض فتاوى مفتى القدس، وربما تكون قوة مثل هذه المشاعر قد

نشأت من أن ثقته قد اهتزت، ليس فقط فى عصبة الأمم، وإنما تجاه السياسيين المتهكمين، أمثال هيربرت صمويل الذى تبنى فى ذات الوقت الذى ظل فيه صامتا عن الظلم الذى ارتكب ضد الفلسطينيين نماذج عريقة من الزمالة الروحية.

إعتمد يوسف علي في مناقشته، فيما يتعلق بالمسالة الفلسطينية، على خبرات المحامى. واعتمد فى قضيته على الموضوعات المتعلقة بالتفويضات والمعرفة الجيدة للظروف السائدة فى مؤتمر السلام بباريس.وقد ربط شرعية عرضه بتوضيح أن عصبة الأمم لم تعط البلد حصة التفويضات – بريطانيا بالنسبة للوضع فى فلسطين أي حقوق للتمثيل وقد أدرجت فلسطين تحت حصة التفويضات (أ) والتى كانت قد اعدت بناءاً على فكرة أن الذين يقطنون البلاد تحت الإنتداب فإنهم متساوون فى حق المواطنة، ولكن فى حال كونهم فى قطاع منفصل عن الإمبراطورية التركية، فإنهم فى حاجة إلى خبرة حكومية. ولكن هذا الوضع، فقط، حتى يستطيعون الإعتماد على أنفسهم. كما أن الواجب الإلزامى يحتم نصحهم وتجهيزهم للإدارة الذاتية لأنهم مستغلون. كذلك فإن العراق وسوريا مدرجتان تحت نفس الأجندة وقد تم حصولهما على الإستقلال، فلماذا لم يحدث ذلك بالنسبة لفلسطين ؟. وذهب اللورد بالفور فى حديثه أن بريطانيا ستستخدم نفوذها لتمكين اليهود من الإستيطان فى فلسطين مقررة أن حقوق غير اليهود قد تأثرت بشكل أو بآخر.

قام يوسف علي بإطلاع الإعلام البريطانى بعدم شرعية تقسيم فلسطين، كما أن الحلفاء سيتساءلون لماذا قضى يوسف علي قرابة الثمانية عشر عاما لتسجيل إحتجاجه لأجل وعود المسلمين المنهارة. ولكنه افتدى بنفسه، وظل يتحدث على الملأ، سواء كان جوهر أو أمير على على قيد الحياة، لتوضيح الوضع الراهن لا. حيث مكنته فصاحته وقبضته على زمام الامور لأن يكون متحدثا بديلا عن القائد الفلسطينى جمال حسين فى احدى المناسبات بكامبردج. إن عصبة الأمم اصبحت مثالية يمكن ليوسف علي ان يتخلى عنها، كما أن حب الملك والولاء

للإمبراطور وبريطانيا أصبح جزء لايتجزأ من شخصيته ولا يستطيع محوها في آن واحد وقد منع يوسف علي، عن إنتقاد السلطات والمغامرة بالتصريحات المخالفة.

وعلى كل فإن جينا لن يتردد فى إبداء إشمئزازه فى تعابيره الشعرية وغيرها.وقد أبعدت بريطانيا فى الآونة الأخيرة أتباعها واخلفت وعودها الجادة. فقط تلك النجاحات بواسطة البريطانيين الذين يمتلكون القوة والمقدرة والذين فى وضع يمكنهم من إجبارهم، فإنه من المؤكد سوف لن يكون هنالك سلام فى الشرق الأدنى مالم يعاملوا العرب فى فلسطين بصدق ومساواة. نجحت إحتجاجات المسلمين حول العالم فى العام ١٩٣٧م فى أن تضع الشرعية المنزوعة فى وضع تعليق مؤقت حتى العام ١٩٤٣م عندما عمل زيونست على مساندة الولايات المتحدة لإحياء فكرة وطن لليهود فى فلسطين.

إحتفل يوسف علي بـ (id-ul-fir) فى ديسمبر بمدينة لاهور. وكان قد اعد فهرسا بترجمة القرآن وقام بإعطائه إلى محمد أشرف، كما قام بإعداد التجهيزات للطبعة الجديدة، كما قام أيضاً بإنتهاز الفرصة لإقامة تواصل مع تنظيم حماة الإسلام، وتحدث فى اجتماع لنشر طباعتهم الحديثة للقرآن، وكانت هنالك العديد من الهدايا للحضور والمشاركة فى الإجتماع الذى أقامه بصحبة عبد القادر، وقد شارك الإثنان فى مناشط (يوم الإقبال) الذى تم تنظيمه من قبل الإخوة المسلمين الجامعيين. وأيضا كان هنالك إجتماع عام فى قاعة (YMCA) بإشراف عبدالقادر، وتحدث يوسف علي عن موضوع الهجرة والمسئوليات في حياة الطالب.كما استأنف إتصالاته مع سيرك الفنون بلاهور، وتحدث فى فن الدخن الفرنسى، مستخدما المواد التى جمعها فى فرنسا العام السابق كما قام يوسف علي بإعداد فوانيس على شكل شرائح يصف بها منزل الدخن والأستديو وأعماله الكبيرة.

والتقى يوسف علي، إقبال للمرة الأخيرة، وقاما بزيارة معرض لفنان يدعى كازمى، والذى سبق أن كتب له إقبال خطاب شكر مؤخراً . وقد احتوى الخطاب إشارة إلى يوسف علي (

لقد شاهدت انا والعلامة يوسف علي عملك الفنى (شكوى وجواب) فى ذكرى مولانا هإلى. وقمت بطرح وجهة النظر بأن صحوبية يوسف علي أنه إذا تمكنت من الريادة فى هذا الحقل من خلال العمل الجاد والتطبيق وقدمت عملك إلى العالم الإسلامى، فإنك ستزيد إلى اشكال المكتسبات وتخلق مدرسة جديدة). الخطاب قد تم إرساله قبل أيام قليلة من وفاة إقبال فى ٢١ ابريل ١٩٣٨. إن الأدب والإحترام المتبادل بينهما قد بدى جلياً رغم الخلافات السياسية المتعمقة فى العلاقة بينهما. وبمناسبة وفاة إقبال، قام يوسف علي بكتابة مذكرة نعى لتخليد ذكراه :

إن وفاة السيد محمد إقبال، قد غيبت أحد إثنين من رواد الشعر من المشهد الهندى، الإثنين يعتبرا من الفلاسفة. ولكن بما أن فلسفة السيد رابندرانا تارجو تعتبر فلسفة تاملية وروحانية، كما هو الحال بالنسبة لإقبال، إذا كان مسموح بالتعبير، معارضة روحانية ضد التصوف. لقد كانت نظرته لثقافة التصوف بإعتبارها أحد المسببات لتدهور الإسلام السياسى – إنها فكرة لايمكن مقاومتها تاريخياً، بالرغم من الإشارة إليها من قبل المتصوفين حديثاً أنفسهم . إن طعنه الدقيق فى كثير من نقاط الضعف فى نمط الحياة الغربية الحديث، سيكون أكثر فعالية إذا تمكن من الحصول على أساسيات بناءة لتحولات أنماط حياة المسلمين الهنود، كعامل أساسى فى تحول الهند الحديثة المتحدة

سافر يوسف علي من لاهور إلى (up)فى فبراير ١٩٨٣.وزار القرح لحضور مواضيع تتعلق بمحكمة الجامعة. كما زار بيت الضيافة في ١٠ فبراير ١٩٨٣ وأخيراً تمت دعى إلى رئيس الكونجرس جوهر نيهور حيث قام يوسف علي بحثه على عدم الإسراع لعملية الاستقلال لأن تفاؤله الظاهر لايزال يواجه ببعض العقبات داخل المحافظة بسبب التوترات داخل المجتمع. وقد وضعت القوات الخاصة (سياسات حكومة الكونجرس) للتماشي مع الحياة السياسية والاجتماعية المتكاملة والحياة الإقتصادية المتساوية لشعب الهند. وكان جينا فى (up فى تلك الفترة ولكن لم يكن هنلك تسجيل للقائهما. وكانت رسالة جينا للطابة فى الكرخ متناقضة تماماً: إن مرور مائة وخمسون عاما من الإسترقاق تحت إمرة البريطانيين يمكن أن يتبعها المزيد من الإزلال فى ظل حكومة الهندوز.

من وجهة نظر إقبال فإن أعمال الشغب التى قام بها مسلمى الهند فى ١٩٣٧– ٣٨ تعتبر حرب مدنية بمسمى آخر لأن هنالك طريق واحد للخروج منها. وكان ينظر إلى مسلمى الهند كإتحاد سياسى تقوده الشريعة الإسلامية. ووفقاً لتقديرات يوسف علي فإن إقبال وجينا يمثلان خطط بناء بالنسبة للهند. عندما عاد يوسف علي إلى لندن فى أبريل كانت المرة الأولى لسفره جوا. واستغرقت الرحلة من كراتشى يومين ونصف – واستغرقت رحلته الأولى من بومبى فى ١٨٩٣م مدة أربعة اسابيع. ولازالت الحكومة البريطانية تعتبره ممثلها السامى للمسلمين. ويمكن الثقة فيه لتمثيل الهند فى الإتفاقيات مع الإمبراطور فى الكثير من الإجتماعات العامة. وقد تم اختياره لحضور استقبال أميرالسعودية ابن عبدالعزيز بن سعود فى أغسطس. وتم الإستقبال فى محطة فكتوريا متضمنا فردريك كامبردج، ممثل الحكومة المصرية، وسفير أفغانستان. وكان يوسف علي ذو أداء متميز، وسمات مألوفة فى الدفاع عن قضابا المسلمين ورجل خطابة ممتاز فى حل الكوارث داخل البلد. أصبح النادى الليبرالى الوطنى يمثل الأساس بالنسبة له أكثر من منزل العائلة فى ويمبلدون. ظل يوسف علي غريباً عن الأطفال من زواجه الأول وعما قريب ستتم إدانته (منتصف ص١٢٦).وكذلك ليست بمدة طويلة قبل أن يصير غريباً عن ماسوما حتى مع عدم صبرها واستعدادها للعناية بإبنه راشد، لما ظل وحيدا خلال دراسته للقرآن. يستطيع يوسف علي التحدث والكتابة عن المشاعر الإنسانية، ورغم ذلك وجد أنه من الصعوبة أن يعيش علاقات طويلة الأمد. وفى إحدى المرات خاطب يوسف علي مجموعة من الطلاب قائلاً: أحتكم دائما لتتذكروا أن الأسمى على كل الاسئلة فيما يتعلق بالتوظف هو السؤال عن الشخصية. فإنى أختبر الإنسان المتعلم ليس بمدى معرفته، وإنما بمقدرته على الحب، تقدير وفهم الآخرين وبمقدرته على زرع الثقة فى نفسه لأنه يتحتم عليه، ولمدى معين، معرفة نفسه ''.كان يوسف علي متواصلا لامعا فى التحدث والكتابة، ولكن كان هنالك شيئ من عدم الصرامة فى شخصيته وقد أتى ذلك من نمط علاقاته الأسرية. إن الربط بين المعرفة الشخصية والمقدرة على حب الآخرين يمثل إنطباع ثقافى جميل، ولكن ذلك هو ما يبقى. وكانت أفكاره حميمية، حيث كان يستعمل هذا التعبير بإستمرار – كأنما هو شعر مثالى. افتقد يوسف علي حميمية العلاقات الأسرية فى

مرحلة الطفولة والنضج. بلغ إبنه راشد السادسة عشر من عمره وقد رأى قليلاً من تميز والده فى السنوات الأخيرة.

وأصبح يوسف علي يرتاح لمشاعر العزلة واليأس. وهذا الإحساس ليس نابعاً من حالة المسلمين أو إشعال الحرب بواسطة هتلر، وإنما هى مشاعر داخلية لم يتمكن من التغلب عليها بالرغم من اكماله لترجمة القرآن الكريم. وقد أبدى قلقه من خلال ورقة قدمها أمام المجتمع فى لندن بمناسبة دراسة العقيدة فى نوفمبر ١٩٣٨، قائلا بشكل درامى :'' أن أرواحنا مغلقة فى لحم وعقولنا يمكن فقط أن تشكل فقط مادة الصور '' ' إن إرادتنا تقاوم بالإغراءات بشكل ثابت. هنالك الكثير متلاشى، قبيح، وخطأ من حولنا ' وكذلك يبدو هنالك الكثير متعارض وغير عادل، ألم ومعاناة، أسف وفشل. يشعر الإنسان أحيانا بأنه زعيم المخلوقات، ولكن بازدياد المعرفة يكتشف مدى ضعفه وسط القوى الهائلة من حوله. وحينها يشعر بأنه مخلوق عاجز، تعيس، مشرد ووحيد فى عالم ذو أبعاد لا متناهية.يقهره لغز الحياة وهو يصيح 'خيلاء الخيلاء، الكل خيلاء' بما فى ذلك نفسه فى دائرة الإتهام بالخيلاء. إن كآبة يوسف علي تعتبر جزء من التكوين الفسيولوجى لشخصيته.

خاطب يوسف علي المجتمع المحلى للأدب فى نوفمبر ١٩٣٨م حيث قام بمقارنة فلسفته للحياة بفلسفة إقبال قائلاً :'فى عالم إقبال، علينا البحث عن الصراع والإضطراب، وليس الأمن والهدوء. باستخدام تعابيره الخاصة لإيضاح فلسفته الأدبية، فإن الحياة من وجهة نظر إقبال تعتبر ' حركة إستيعاب إلى الأمام '. والشخصية تعتبر ' حالة من التوتر ' وهى حالة التوتر التى ' تستطيع أن تجعلنا عديمى الأخلاق '. والصراع الذى نقوم به، من أجل إصلاح هذا التوتر، لإحتواء كل العام فى دواخلنا، وليس ليحتوينا. إن الحب هو الرغبة فى الإستيعاب، إمتصاص الصدمات، وليس أن نفقد أنفسنا فى غمرة حبنا. واقتبس إقبال من من أبيات تنى سون :

حمل الحب قيثارة الحياة،

وضرب على الأوتار أنغاما حزينة،

ضرب على أوتار النفس المضطربة،

أنغاما بعيدة المدى.

لم يكن إقبال يعتقد فى مثالية الصوفية وعلاقتهم بالله، حيث قام بمهاجمة الصوفية لاشعوريا، خاصة حافظ وسيد لقيامهم بالوعظ من أجل التنازل عن حظوظ النفس لأجل التوصل إلى الله.

قام يوسف علي بترجمة ' مثالية الصوفية 'كنكران الذات – التنازل عن حظوظ النفس.مثل هذه الترجمة ربما يكون لها أثر فعال فى حفظ توازن الشخصية وكذلك امتلاك إحساس قوى بتحديد المصير والإيمان بالقدر. وقدم وجهة نظر أكثر شمولية عن الصوفية وذلك فى الاوقات الأكثر سعادة، قائلا:' إنهم يتجولون ويختلطون بالمجتمع. ومنهم التجار، وموظفى الحكومة، المسافرين وغيرها من المهن الأخرى. ومهمتهم الأساسية هى مساعدة الآخرين وتوفير وسائل الإتصال مع كافة البشر '.وبالرغم من ذلك فإن هنالك بعض الجنوح فى شخصيته المعقدة أدى إلى دخولها فى بعض المواقف الحرجة –وأول مؤشر إلى هذا الإتجاه هو مسرحية تقديس–البطل، لجورج الثانى فى ١٩١٤م.

كان السفر هو العلاج الوحيد لإخراج يوسف علي من كآبته.وسمعته كعالم إسلامى كانت قد امتدت عبر الأطلنطى فى ١٩٣٨م عندما تم نشر ترجمة القرآن بواسطة هافنر فى نيويورك ، وموراى فى كامبردج. وقد قادر يوسف علي لندن فى ١٢نوفمبر ١٩٣٨م فى رحلة الدعم الكندى بواسطة المجلس الوطنى الكندى للتعليم، وهو الجهة التى قامت بوضع الترتيبات لزيارته فى ١٩٣٨م. وتم إستقباله فى وينبج بواسطة وزير التعليم وقام خلال الثلاثة أشهر بإلقاء العديد من المحاضرات واللقاءات الصحفية والبرامج الإذاعية وكانت جميعها حول قضايا تخص الهند،

بالرغم من أن هنالك فرص للتحدث عن الإسلام ومواضيع أخرى مثل فلسطين. كما تطرق كذلك إلى التهديدات التى تعرضت لها الإمبراطورية البريطانية من قبل اليابان وألمانيا.

وخاطب يوسف علي إجتماعات المعهد البريطانى للمعونة الدولية. وخطب في مسجد ادمنتون الذى تقرر أن يكون الأول فى كندا، وكان قد تم افتتاحه بواسطة يوسف علي فى ديسمبر ١٩٣٨م. وكان عليه أن يختار له اسما، فسماه مسجد راشد، ربما بعد مولد ابنه. وكان مخطط رحلة يوسف علي مكتظا بالبرامج، حيث تحدث عن القوائم التى بنى عليها الإسلام فى كل من مونتريال ' الهند تحت الإحتلال الجديد ' فى لينوكسل والعديد من المدن الأخرى. كما تحدث عن ' مكانة الإسلام فى العالم الجديد ' وذلك فى مدينة فورت وليام. بحلول ديسمبر ١٣٩٨م كان يوسف علي فى قلب كندا وكان الشتاء فى قمة أوجه، يخاطب المستمعين عن ' علم تطور الجريمة مقابل تطور المادة ' وكان ذلك فى مناطق مثل مانتوبا وساسكتشوان. وكانت التقارير الصحفية متقدة وتدور حول ' أنه متوسط القامة، ممتلىء الجسم. شعره أبيض مجعد ومتناثر. حاد الطبع، متعجل، مهذب. لغته الإنجليزية، رغما عن أنها لسيت لغته الأصلية، فإنها جميلة، معبرة. معرفته بالأدب الإنجليزى عميقة. وهو نفسه قد قدم للإنجليزية الكثير من خلال ترجمته وتفسيره للقرآن.

كان يوسف علي سفيرا ممتازا لإمبراطورية الهند. وقد لفتت شخصيته المرحة ومهاراته فى الخطابة أنظار كافة المنظمات. وقد كتب له رئيس جامعة اكاديا، نوفا اسكوتيا، قائلا :' قد استمتع كل الحاضرين '. وأرسلت له مؤسسة فى تورنتو مجلتها اليديوية التى وصفت فيها لقائه : ' أنه كان مرحا، وقد أحببناه مجرد ما ابتسم لنا من على المنبر، ولكن عرفنا مدى عظمة شخصية الرجل الذى يقف أمامنا ومعرفته العميقة قبل أن يبدأ حديثه، وكان متواضعا وجادا. ابتهج يوسف علي واحتفظ بقصاصات من الصحف تصف رحلته. لقد أحب يوسف علي كندا مستجيبا لإحدى الصحف' أن الشيىء الذى أثار إعجابى فى كندا هو النقاء وحماسة الروح الشبابية. .. وكلنا أعضاء لنفس الإمبراطورية. و نتمنى أن تعيش الدول وتتعامل بصداقة كما

نفعل نحن كأفراد ' إن التناقض يتمثل فى الضغوط التى يتعرض لها ويقوم بإبداء مشاعر غريبة للحصول على الراحة. وحتى المرح، فإنه كان مقتصرا على المناسبات العامة

كان يوسف علي مهتما بالهند. حيث قام بكتابة سلسلة من المواضيع ، تتعلق بالشرق ، فى لاهور عن خبراته فى كندا وقام بمقارنة ما ظهر له كانسجام الانجليز والفرنسيين وعلاقة الهنود والمسلمين فى الهند. وعلى المسلمين ان يتعلموا الكثير من الدروس عن كيفية التصرف كاقلية. الفرنسيين والكنديين قد تنظموا تماما ' على مستوى الكنيسة والولاية'. بينما ظل مسلمينا غير منظمين كل على حدى.

عندما عاد يوسف علي إلى لندن فى فبراير ١٩٣٩م، كان كالطائر المهاجر عند نقطة العبور وخلال ستة أشهر سيكون فوق البحار مرة اخرى. متبعا نمط رحلته الكندية، قام يوسف علي بالسكن فترة من الزمن فى النادى الوطنى الليبرالى بوسط لندن شارع مانسيل، ويمبلدون. وفى مايو قام المجتمع المسلم فى بريطانيا العظمى بالإحتفال بالمولد النبوى الشريف فى مجمع بورتمان، شارع بيكر. وكانت فرصة محضورة بالنسبة ليوسف علي كضيف متحدث. لقد وصلت حالة عدم الراحة بيوسف علي درجة أنه أصبح لايستطيع أن يمكث بمكان واحد لشهور قليلة. وغادر لندن فى سبتمبر، قبل يومين من إعلان بريطانيا للحرب فى ألمانيا. وكان قدبلغ السابعة والستين من العمر ولكن لايزال قادراً على المغامرات. وقضت السفينة التى سافر على متنها كل الليإلى تحت الظلمة حتى وصلت المحيط الهندى. ولم يدرى الركاب لعدة أسابيع لأى الموانىء متوجهين وأى الممرات يسلكون وقد عبروا في عدد من الغواصات فى أكثر من محيط.

وقام بتأليف أبيات من الشعر فى عبورهم اوضح فيها مدى ارتفاع لاندرى الطريق الذى يجب أن نسلكه،

معنوياته :

إننا لاندرى المرسى الذى نقصده،

لقد أبحرنا فى وسط ظلام دامس،

نعد كمين لخصم ماكر،

حملنا أحزمة الأمان أبدا وعما قريب،

نتمشى ونجلس لتناول الوجبات ونلعب،

عززنا عزلتنا بتسع بنادق رصاص،

وراقبنا من أمامنا ومن خلفنا، ليلاً ونهاراً،

ظللنا تائهين عن العالم أسبوعا فى السحب،

مائة من الأرواح الفقيرة، نساء ورجال، شيباً وشباباً،

جرفنا خلسة فى فاجعة سفن بحرية،

بدون إضاءة، بدون خطة ولم تروى قصتنا،

أصبحنا نتنفس الصعداء، فى ميناء الحظ،

وصلنا البر وببطء أبحرنا بوجود الأضواء،

خلال القناة التى تربط الشرق والغرب بمجرى مائى قصير فضى اللون، منهمر

وصلنا البر بالسفينة بطاقمها الممتازين الشجعان

وصلنا البر بفضل الكابتن الذى تصرف بتعقل.

وصلنا السواحل المشمسة وكتبت لنا حياة جديدة.

نذرنا لعلمنا – أن نكون جاهزين ومخلصين.

إن الحرب العالمية الثانية، كما هو الحال بالنسبة للحرب العظمى قبل خمسة وعشرون عاما، كانت ذات أثر فعال على يوسف علي وكان صامداً ويمكن الإعتماد عليه. قام بزيارة الكرخ وتحدث أيضا فى الكلية الأنجلو عربية فى دلهى وكان ذلك فى ١٤ أكتوبر حيث تحدث عن ضرورة إتحاد الهند مع بريطانيا فى المساعدات الحربية. ووصل إلى لاهور فى ١٦ قضى عشرة ايام قبل أن يغادر إلى بومبى والإبحار عائداً إلى بريطانيا.

وعند عودته كتب يوسف موضوعين للإستخدام فى جهود الدعاية الموجهة من قبل وزارة الإعلام. الأولى بعنوان ' مسلمى الهند يقفون خلف الديموقراطية ' والثانية بعنوان ' موقف الهند من الحرب الأخيرة تحتوى على حكاية قام باستخلاصها من رحلته الأخيرة. وكتب قائلاً:

عندما كنت فى البنجاب فى أكتوبر ١٩٣٩م، ومن خلال خبرتى العملية، دهشت كثيراً لحدث بسيط. فقد قادنى أحد الشباب إلى ولايته الزراعية، وقال لى: '' سيدى، هذه فترة عصيبة، وإنى قد قمت ببعض التحسينات، ولكنهم لا يستطيعون الإنتظار. وقد حضرت هذه المرة لمقابلتك والحصول على رضاك، فى حالة أنى قد قتلت فى معركة قبل حضورك هنا مرة أخرى. وإنى ذاهب للإنضمام إلى الجيش مع أصدقائى القرويون، لنرفع العلم، وهذه المثل من الإخلاص والصدق فى الأقوال والأعمال، التى حاولت غرسها فى نفوسنا . . ألن تثق ؟ أنى اكن لك كل الإحترام. هذه هى الأخلاق التى يتحلى بها عدد كبير من الناس وهى تعبر عن موقف الهند من الحرب. وأنواع أخرى من هذه المواضيع مثل'' الهند والحرب '' ، قد تم نشرها العام التالى بواسطة السفارة البريطانية فى طوكيو كجزء من '' سلسلة معلومات عن بريطانيا.

قام يوسف علي بمخاطبة إجتماع إتحاد الشرق بقاعة كاكستون فى وستمنستر، نفس الساحة التى تحدث فيها فى عام ١٩١٤م داعيا الهند إلى التسابق نحو الوحدة. حقيقة وبنفس الأخلاق كما هو الحال بالنسبة للحرب العالمية الأولى، فقد قام يوسف علي بحث الهنود على إظهار القوة فى مطالبتهم بالتغيير السياسى. قائلا :'' لذلك فإن أمنيتى، أياً كانت وجهة

نظرنا، فإنه علينا التركيز فى الوقت الحاضر على الشيىء العظيم الذى نسعى جميعا لتحقيقه، بقوة وتوفيق الإمبراطور، حينها يمكننا أن نحقق المثل العليا للهند والإمبراطور ''

إن دعوة يوسف علي لالتزام الصبر خلال فترة الحرب العظمى، ربما تكون قد وجدت بعض الدعم من المجموعات الباحثة عن الإصلاح من خلال التغييرات الدستورية، ولكن الوضع الآن أصبح بعيداً كل البعد عن مثل تلك الالتزامات المحترمة .

وفى بداية الحرب العالمية الثانية قامت بريطانيا بتعليق المناقشات الدستورية فى الهند، ورغما عن أن غاندى كان قد جهز لذلك، فقد قام قائد الكونجرس بالرفض. إستقالت وزارات الكونجرس فى المحافظات الهندية فى نوفمبر ١٩٣٩م. أعلن الإتحاد الإسلامى بدعم قوى من مجموعة '' ممنوع اللمس '' – وهى تمثل قطاع من المجتمع الهندى تم رفضه بواسطة طائفة من الهنود الواعين – كرد فعل– أعلن يوم ٢ ديسمبر ١٩٣٩ '' يوم النجاة من دكتاتورية الكونجرس وذلك فى عديد من المحافظات مثل (يوبى). وكانت هنالك حرب دائرة بين نيهور وجينا على نسق الخلاف بين المانيا والحلفاء. وحزن يوسف علي، على ما كان يجري من أحداث.

إن التواصل بين باندت جوهرلال نيهور و السيد صبحاس شاندرا فوس، كممثلين للكنجرس من جهة، والسيد محمد على جينا، رئيس الإتحاد الإسلامى، من جهة أخرى، كشف عن شيى من اليأس والقنوط ، من الحصول على مخرج من المأزق دون الإتجاه إلى التحول الراديكالى وذلك من وجهة نظر زعماء الجاليات .

لم يكن ليوسف علي خلفية عن الإجتماع الآخر الذى تم إنعقاده فى قاعة كاكستون فى فبراير ١٩٤٠م، فيما يختص بمسلمى الهند، الحقل السياسى والحربى '. استخدم يوسف علي هذا الحدث كفرصة لتقديم حلا بناءاً مقبولاً. وقام يوسف علي برفض فكرة المناطق المتقاطعة بالنسبة للهنود والمسلمين، من منطلق أن ذلك يتطلب إجراء تغييرات مستحيلة على الخارطة

السكانية، وأراد بديلا يمكن أن يحمى الأقليات من التلاشى. وكان منهجه يهدف إلى تكوين نواة لوحدة المسلمين، معارضة الهندوس للكونجرس وغيرها من المجموعات كمجموعة (غير قابل للمس) ومثل تلك المجموعات يمكن أن تكون ذات ثقل كافى للتصدى للكونجرس كما يمكن أن تقود إلى نظام المجموعتين فى الهند. وهى أفكار تم أعادت تقديمها للجنة الدستورية المشتركة للهند والتى تم إعادة تكوينها فى١٩٣٣م.

هنالك بعض الموضوعات التى تظهر السلطات التشريعية الاقليمية بمظهر غير لائق منها، المدينة ضد الدولة أو المزارعون ضد الغير مزارعين أو رأس المال مقابل العمل. ويمكن الإستفادة من هذه الموضوعات أيضا فى تشكيل الطوائف. كذلك دعى يوسف علي، المسلمين إلى تولي القيادة وإخراج الهند من سيطرة العوام والأقليات دائمة العجز. استمر يوسف علي فى التمسك بفرضية أن الهند تمثل أمة وعلى المسلمين أن يتعاونوا فى ظل إئتلاف لا يتجاوز الإختلافات العقدية. ولكن ليس هنالك من يأخذ بمخطط يوسف علي ، وعلى كل حال فإن الوقت، الذى تتشكل فيه السياسات بالهمس على آذان وزير خارجية الهند، قد انتهى.

اجتمع الإتحاد الإسلامى فى مارس ١٩٤٠م فى لاهور وأجاز اتفاق ' حل مشكلة باكستان ' الشهير. إن تسارع الأحداث فى الهند بشكل غير واضح، أجبر يوسف علي، على إعادة تقييم موقفه. بينما لم يكن مقتنعا بفكرة استقلال الهند، فإنه قبل عملية تحليل الإتحاد الإسلامى للتهديدات التى تعرض لها المسلمون من قبل الكونجرس. وفى مايو ١٩٤٠ التقى برجل 'نيهور' فى لندن ، كرشان منون ، فى مناظرة تم تنظيمها بجامعة ساوثامبتون. وكانت المناظرة حول ' من مصلحة الشعب والبلد أن تنال الهند استقلالها التام حالا ، ومن المتوقع أن يكون رأى يوسف علي، خلاف ذلك .

قبل يوسف علي، فى المناظرة، الإتحاد الإسلامى كممثل للرأى الإسلامي وحذر من إن يعطى الهندوس اغلب على حساب الأقليات المسلمة .

فى خريف وصيف عام ١٩٤٠م كانت سماء بريطانيا تزمجر بصوت الحرب. الغارات الجوية بالقنابل الألمانية كانت تحدث على مدار اليوم، ورغم ذلك استطاع دعاة الكونجرس العالمى للأديان، الصامتون، أن ينظموا احتفالهم السنوى، الذى تحدث عنه يوسف علي، فى يوليو. كما تحدت الجمعية الملكية للفنون الظروف وقامت بدعوة يوسف علي لتقديم ورقة بعنوان تعليم الصغار فى الهند. كذلك استمر إجتماع رابطة شرق الهند، الذى عقد بواسطة وزير الخارجية، بينما كانت الغارات الجوية فى تزايد مستمر. إن الحماس دائما يتفجر من حيث لا يتوقع. وفى اجتماع آخر لرابطة شرق الهند، أعلن يوسف علي عن مقتل مشكل حكومة البنجاب، السيد، اودوير، الذى قتل رميا بالرصاص، من مدى قريب، على يد فرد من طائفة السيخ. وورد نبأ مقتله فى الصحف على النحو التلى :' فى الصف الاول، على مقربة منى، رأيت صديقى لويس دين يسقط على الأرض، وأسرعت فى اتجاهه وهو يقول ' قد جرحت ' وأصبحنا الإثنان فى حيرة من أمرنا، وأصبت بالزهول. قمت بمساعدته للنهوض على قدميه، ولاحظت أنه ينزف من ساعده، وساعدته بكل ما فى وسعى. إنها لنهاية محزنة للقاء كان فى ظل صداقة حميمة جدا. لم تكن هنالك مقاطعة للحديث، وتلقى كل الحضور الخطاب بحماس واهتمام كبير.

فى سبتمبر ١٩٤٠م دعت ساعات الخطر، يوسف علي إلى تحديد إرادته. وقام خلال السبع سنوات الماضية بتحويل ملكية ثلاثة من ممتلكاته على طريق مانسل، إلى ماسوما. إن إرادته كانت غير كريمه تجاه أبنائه، بما فى ذلك راشد. الأبناء من زواجه الأول تم استثنائهم بشكل محدد: نتيجة لإصابة هؤلاء الأبناء بالمرض المستمر، فإن إرادتهم تجاه والدهم ، قد قللت كثيرا من مودته لهم، حتى أصبح لا يعول على فائدة ترجى منهم ولذلك وجه بأن تذهب معظم عقاراته، ليس إلى ماسوما أو راشد، وإنما توضع اعانة باسمه عن طريق محكمة جامعة لندن لمصلحة' طلاب الجامعة فى الهند ' . وترك إلى ماسوما، الأثاث المنزلى، مخطوطاته وأوراقه وأى كتب ترغب فيها من مدخراته، اضافة إلى الربع من ثروته النقدية،

إلى أن يتم زواجها مرة اخرى. وسيرث راشد ربع الثروة لإعاشته ومبلغ ضئيل حوالى ٣٠٠٠ جنيه استرلينى . وتبعث الكتب المتبقية إلى مكتبة الكلية الإسلامية فى لاهور، بينما كانت هنالك توجيهات خاصة فيما يختص بتوزيع مفكراته.

وفى السنة التالية، انفصل يوسف علي، عن ماسوما. وكانت علاقتهما قد توترت منذ العام ١٩٤٠م ، لأنه فضل أن يقيم بالنادى اللبرإلى الوطنى، معظم تلك السنة. وظل يستلم أجرته من آى سي إس، ٨٠٠ جنيه استرلينى حتى وفاته فى ١٩٥٣ وترك عقارات تعادل حوالى ٢٠,٥٧٨ جنيه استرلينى وهو رقم كبير حتى بعد خصم ضرائب الإرث . بحلول خريف عام ١٤٩٤٠ كان يوسف علي لايزال رجل عجوز مكتمل القوى يستطيع أن يجوب أنحاء لندن. ولايزال قلبه متعلقا بالعمل الطوعى. قام بوصف، نصر النازية، بأنه أكبر كارثة تحدث للإسلام وتقدم الإنسانية. وسافر بعيدا عن لندن لتقديم رسالته، متحدثا فى أماكن كهارتلبول وهول. وتحدث مرتان فى برستول، فى أكتوبر، وذلك خلال يوم واحد، إحداهما لدورة بريستول، والأخرى للفرع المحلى لمجتمع الإمبراطورية الملكية. وقامت وزارة الثقافة، باطلاع المنظمون، جيدا، عن يوسف علي، فى مقارنة مع الجهود المقتضبة خلال الحرب العظمى، فى وقت كانوا لا يدرون أهندوسى هو أم مسلم. وتم تقديمه بصفة رسمية فى هارتلبول كرئيس سابق لمؤتمر جميع مسلمى الهند. وكانت رسالته من الرسائل التى بعثت الطمأنينة فى النفوس حيث استهلها قائلا : إن الإسلام والهند أولياء بعض ’. وكان عنوان إحدى محاضراته التى ألقاها فى بريستول بعنوان "الإسلام والحرب" ولم تكن مكتوبة بل كانت من وحى خواطره، حيث أردف قائلاً، ‘‘ كما هو الحال بالنسبة للهند، فإن المسلمين يقفون بجانب الحلفاء تماما، لأنهم يعرفون أنه ليس أمن الهند وحدها، يعتمد على تلك المؤسسات التى ترتبط باسم بريطانيا العظمى، ولكن أمن العالم أجمع’’ان الإمبراطورية البريطانية تمثل الجسم الصلب فى العالم، وأن المسلمون سيقفون خلفها فى حالة القوة والضعف. قام يوسف علي بترتيب أنماط أنشطته – العمل الطوعى، نشاط الادب المتنوع والإنتقادات حول التطورات السياسية فى الهند – حتى

العام ١٩٤١م. واحتوت مخرجاته الأدبية على درس بعنوان : '' رؤية حول الثقافة الإسلامية والعقيدة '' من منشورات المعهد الملكى للشئون الدولية، الغرب والهند الحديثة. وتمت كتابة المقدمة بواسطة لورد ميستون – استمرت زمالتهما لعقود من الزمن – وكان ذلك آخر تعاون بينهم . لأصيب ميستون بالعمى تماماً، وتوفى فى ١٩٤٣م. كتب يوسف علي العديد من الموضوعات الطويلة ومراجع من الكتب الصغيرة لمجلة الأديان. وفى الجبهة السياسية، كان يوسف علي منتبها تماماً لتزايد أعداد جماهير الإتحاد الإسلامى ليكتب لصحيفة التايمس مدافعا عن جينه، وكتب قائلاً : '' لايمكنك الفوز على أناس سليمى النوايا، بأناس يسيئون لقائدهم '' وكذلك دعى إلى إنهاء نظرية الشعب الواحد قائلاً : '' إن القريبين من الأحداث يعرفون أن الهند كغيرها من دول أروبا وليست قطراً صغيراً كتشيكوسلوفاكيا، وعما قريب سيتعرفون على المشكلة الحقيقية. ولايزال يأمل فى ظهور روح المساومة والتفاهم بين الإتحاد الإسلامى والكونجرس، وهذه الروح مفقودة، ويعد ذلك نذير شر، ليس لذلك القطر العظيم، وإنما للإمبراطور كذلك. وكان يوسف علي يحضر إجتماعات المناطق الجنوبية بقاعة كون وى بصفة مستمرة، منشغلاً بالترتيبات فى هولبورن. وكان ذلك بمثابة منتدى نشط للمسيحيين الغير معتمدين، والإنسانيين وذوى الأرواح المتقاربة. وفى إجتماع عقد فى مايو ١٩٤١م، قدم يوسف علي ورقة بعنوان '' الأخلاق وحكم الحزب الواحد '' كان الهدف منها توضيح أن بريطانيا تحمل أخلاقاً حميدة تجاه النازية والبلشفية ، وأردف قائلاً : '' إن الهدف الأساسى للنظام الإمبرياإلى هو إيجاد شعوب تتمتع بالحكم الذاتى وتربطها رابطة تمكنها من الإشتراك فى الموارد لتحقيق الأهداف التى تهم الإمبراطورية'' وذلك يمثل الأساس لتنظيم مستقبل البشرية، وذلك لأنه باتفاق كل الشعوب على الوحدة بإحساس أن إمبراطورية المستقبل البريطانية ستتوحد، فإن ذلك سيمثل نهاية للحرب. إن رؤيته للعقيدة ذات أثر ضئيل على العالم الخارجى، حيث الحكم وتنظيم المجتمع. لم تكن أحوال، يوسف علي، على ما يرام فى صيف ١٩٤١م، ربما كان ذلك بسبب إنفصاله عن ماسوما، فقد غادرت شارع ٣ بمناسل لتسكن فى مكان آخر فى

ويمبلدون، بالرغم من أن الثروة ملكها قانونياً . ظل يوسف علي فى بريستول فترة من الزمن حيث وصله خطاب من وزارة الثقافة، لمناقشة عرض قدم له وكان على النحو التالى :

٣١ يوليو ١٩٤١م

يوسف علي ESQ. CBF

كليفتون

بريستول ٨

السيد / يوسف علي،

لقد أخبرنى وزير الدولة لشئون الهند، بانه شاهدك تثير موضوع زيارتك إلى أمريكا، وأريد معرفة ما إذا كانت خدماتك ستكون مستمرة، ومن الممكن أن تتصل بى خلال الأسبوع القادم، لنقل يوم الإثنين، لمناقشة هذه المسألة معى .

المخلص لكم

أ. هـ. جويس.

وكان من غير المعتاد أن تقدم وزارة الثقافة، النصح ليوسف علي، رغما عن أنه كان بعيداً عن مجريات الأحداث فيما يختص بقضايا الهند.

كانت معظم أنشطة يوسف علي فيما بعد الحرب عبارة عن الغاز. فقد تحدث فى ١٩٤١م فى مؤتمر الكونجرس العالمى للأديان الذى عقد فى أكسفورد فى أكتوبر، كما حضر كذلك إجتماعات جمعية الفنون الملكية. وقام يوسف علي خلال العام ١٩٤٢م بإعداد موضوعات متنوعة ضد النازية تحت عنوان '' الإضطهاد فى بلاد المسلمين، و كان ملف يوسف علي، فى سجلات مكتب الهند، يحمل مذكرة مكتوب على واجهتها '' انظر إلى ملفات ، بى وجو،

أيضا''. وعلى أية حال، فإن هذه الملفات كان قد تم نقلها من مكتب الهند فى ١٩٨٢م بواسطة وحدة المراجعة التابعة للمكتب الخارجي. إن القصة الكاملة لتلك السنوات ربما تكون مخبئة فى تلك الأوراق المفقودة. بلغ يوسف علي تمام الصحة والعافية فى فبراير ١٩٤٣ ، وقام بأداء صلاة الظهر بمسجد شاه جاهان بمدينة وكنج، حيث كان إماما للمصلين. وكانت الخطبة كئيبة وورد فيها : '' إن هذا العام لم يشهد الكثير من الوقائع التى يمكن الإبتهاج بها، سواء على مستوى العالم الإسلامى أو على مستوى العالم ككل. لكن الإستحقاق الأعظم لابتهاج عقيدتنا يكمن فى استقلالها عن الظروف المحيطة بالعالم الخارجى. وأنها تتعامل مع العالم الداخلى، سواء على مستوى الفرد أو البشرية جمعاء. وإذا وجهنا حياتنا بحكمة، فإن ذلك العالم الداخلى سوف لن يكون معتماً من قبل العالم الخارجى، وإنما سيرسل إشعاعات تتخلل تلك العتمة، دون شكوك وحيرة ''. وكان من المعروف أنه فى عام ١٩٤٤م فإن راشد البالغ من العمر ٢٢ عاما كا ن قد تم تكليفه ليكون ضمن الجيش الهندى فى الكتيبة السابعة. ودون شك فإن مثل تلك الاخبار تسر يوسف علي، ولكنها سوف لم تكن باستمرار.

عندما وضعت الحرب أوزارها فى ١٩٤٥م كان يوسف علي لايزال يقطن فى شارع ٣ مانسيل، بويمبلدون. منفصلاً عن زوجته ودون أى أبناء حوله، إن سنوات البؤس قد ابتدأت. لقد توفى أصدقاؤه الأوفياء، أمثال، أكبر حيدرى، لامنقتونق، ميستون وينق هسبند. وأصدقاء آخرين عادوا إلى شبه القارة، مثل شيخ عبدالقادر. لم يمنح يوسف علي الشرف الذى يستحقه بعد الإنفصال فى ١٩٤٧م، بالرغم من ظهور مساهماته العظيمة للمسلمين فى مجالات التعليم والسياسة، خاصة فى البنجاب. .وكانت القيادة الإتحادية، والتى كانت قد تجمعت بشكل ملائم للإتحاد الإسلامى، تعلم منجزاته جيداً، ولكنها لزمت الصمت. حتى جينا، الرجل الذى لم ينسى الإهانات السابقة، فقد ظل بعيداً عن ترجمان الإسلام، زميل الدراسة فى بومباى. وكان هنالك معرفة قليلة من قبل مندوبية باكستان السامية فى لندن، والتى كان موظفيها على معرفة بالأحداث الجارية. كذلك أعدت المندوبية السامية تفاصيل عن '' جمعية إقبال'' والتى

كان قد تم تثبيته رئيساً لها. قامت ماسوما ببيع العقار بشارع ٣ مانسيل بمبلغ ٤٠٠٠ جنيهاً استرليني وذلك إما بسبب حوجتها إلى المال أو بسبب نقض يوسف علي لإتفاقيته الخاصه. وأقام بشارع ٢ مانسيل، منطقة منحدرة فى ويستمنستر بوسط لندن، لفترة من الزمن . ولم يعرف مصير كمية الكتب الكبيرة، والصندوق الحديدى الأسود الذى كان يحتوى على مذكراته . الممتلكات التى تمسك بها عبارة عن كتاب ممزق يحتوى على قصاصات من الصحف تحمل موضوعات عن نفسه وبعض الأوراق الخاصة الأخرى. قام يوسف علي بإعداد فهرس دقيق لمجموعته من الكتب، ربما كان ذلك ليقضى أوقات فراغه فى إعادة ذكريات أيام التميزالماضية. كان دكتور على حسن عبد القادر، فى الإطار الضيق لدائرة أصدقائه وهو موجه المركز الثقافى الإسلامى فى لندن وهو الشخص الذى يجب عليه أن يعطيه حتى ممتلكاته الأخيرة. ظل الكتاب القديم دون غلاف لعدة سنوات بمكتبة المركز.

ورد فى عزاء حسن الصياغ بصحيفة التايمز '' عندما تقدمت به السن أخذ يراوده إحساس بالإحباط لأنه وجد أن كثيراً مما قام به كان عبارة عن زهو وإزعاج للروح. ..ولسوء الحظ، فإن يوسف علي كان قد قضى السنوات الأخيرة من عمره مختل العقل. ونسى واجباته الأسرية تماماً وتجنب المسؤوليات تجاه أسرته . إضافة إلى معاشه الذى كان يصرفه من آى سى اس، كان له معانى خاصة، لكنه هبط إلى مستوى من الفقر المدقع وفقدان الهندام، مما تسبب فى فلق أصدقائه القدامى. وفى نهاية الأمر، أصبح تائها، بروح قلقة وبدون مسكن ثابت. فى عام ١٩٥١م حاول عمر عبدالله، عالم شاب مسلم من الكاميرون، أن يسكن يوسف علي، وذلك من خلال مساعدات مستر ماجد، كاتب مقال 'مرجع الإسلام '. وتم نصحه بالتوجه إلى نادى الإمبراطور بالقرب من مركز ترافالقار. وهو يمثل جزء من مجتمع الإمبرطور المحلى بمنطقة نورثمبيرلاند. وتذكر عبدالله رد الفعل لسؤاله فى النادى عن يوسف علي حيث كان الرد عن سؤاله :'' هل تبحث عن ذلك الرجل العجوز الذى يجلس وحيداً ولا يفعل شيئا ؟ الذى لا يتحدث مع أحد ؟. استطاع عمر عبدالله أن يجرى محادثات قليلة مع يوسف علي، بعضها كان عن القرآن

:‘ تلك الترجمة !التى ذاع صيتها‘ لقد استغرقت منى ثلاث سنوات وقمت بكتابتها فى كل القارات. وزرت كل المناطق التى ورد ذكرها فى القرآن. وكان يوسف علي محقاً عندما كان يذكر بأن ثلاثون نسخة قد تم إصدارها خلال ثلاثة سنوات (١٩٣٤م– ١٩٣٧م) وكان ذلك نتيجة للأعمال التى شرعت فى العشرينيات. وكان فى حالة اضطراب وكانت تعتريه مشاكل من ذكريات الماضى. والتى الإثنان مرة اخرى فى ١٩٥٣م، وهو العام الذى توفى فيه يوسف علي وأشار عمر عبدالله إلى أن لاهور أصبحت مكان عزيز بالنسبة للمسلمين للعيش فيه. ولكن لم يستمر الوضع بهذه الكيفية طويلاً، وأجاب يوسف علي بأنه سعيداً وقنوعاً بهذه المنطقة. وغادره عبدالله مسترجعا فى ذهنه ذكريات المسلم الذى وصل قمة المعنويات. وفى حقيقة الأمر فإن يوسف علي المسكين كان مختلا عقليا وفى حوجة ماسة إلى عناية .

كان الأسبوع الأول من ديسمبر ١٩٥٣م شديد البرد فى لندن. وكان الضباب يملأ أفق سماء المدينة مما أدى إلى صعوبة الحركة . وكانت العناوين البارزة بالصحف تتحدث عن الحرب الكورية. إشارة ماسومة، او السيدة جريتيود علي، كما كانت تفضل أن تدعى، فى تحقيق يوسف علي أنه كان يقضى أيام عديدة فى مجتمع الإمبراطور الملكى، ولكن بعد مضى إثنا عشر عاما على إنفصالهما، كانت لاتدرى أين يقطن. وفى مساء يوم الإثنين التاسع من ديسمبر، وجدت الشرطة يوسف علي جالسا على مدرجات منزل فى مدينة وستمنستر. وكان قد تم نقله إلى مستشفى المدينة حيث قضى الليل. وفى اليوم التإلى قام الضابط المسؤول عن المصابين باستبعاده، وترك شرطى يوسف علي بدار العجزة فى شارع دوف هاوس، شلسي، فى لندن. ربما كان ذلك بسبب مكالمة تلفونية من المستشفى أو مدير دار العجزة. قابل مستر ممتاز، ضابط التعليم فى المندوبية السامية لباكستان، يوسف علي، وأردف قائلاً :‘‘إن حالته سيئة. لقد تعرفت عليه عندما كان رجلاً عظيماً. ولا أدرى السبب فيما حدث له ، لأنه كان رجل ثرى وله أصدقاء ممتازين فى بلده. بعضهم أعضاء فى بيت اللوردات ’’. وصلت أنباء محنة يوسف

علي إلى سلطة المندوبية السامية وحظيت بإهتمام بالغ ووصل الموضوع ذروته بخطاب عاجل من المندوبية السامية، ميزا أبو الحسن اسبانى، إلى رئيس مجلس الوزراء م.ا.بوجرا، ورد فيه :

'' عزيزى محمد على :لقد كتبت إليك للإتصال بشخص معروف لدي ومحل ثقة ليس لعلاقتى الشخصية بالإسلام، ولكن لعلاقته بالإسلام على مستوى العالم ولخدماته الكبيرة للإسلام خلال فترة حياته ولترجمته للقرآن إلى اللغة الإنجليزية. اسمه يوسف علي، يبلغ من العمر ٨١ عاما.وردت مؤهلاته وأنشطته ومنجزاته فى كتاب '' من هو''. عرفت الآن، أن ذلك الرجل الكبير الموقر تمر به ضائقة مالية. ولقد وجد جالساً فى ساحة ترافالكا ، يحمل ملابس رثة فى حقيبة ولايحمل نقوداً فى جيبه. وقد تم أخذه إلى دار العجزة بلندن وتم إخطارنا بحالته. بالرغم من ذلك ، وكما تعلم فإن الحكومة لم تضع إحتياطيات لمثل هذه الحالات. وعلى مسئوليتى الشخصية قمت بمخاطبة مديرى، حيدر لتقديم المساعدات اللازمة له بتوفير طعام ومنزل متواضع وأناشدك للإهتمام بهذه الحالة بعين الرأفة وتوفير إعانة حكومية بسيطة تكفى لاقامته بمنزل فى الضواحى يقضى به ما تبقى من عمره بوضع لائق. بالإضافة إلى ذلك فإنه بالطبع يحتاج إلى ملابس. وكما تعلم فإن الإعانه الحكومية الشهرية، قل ٢٠، فانها لاتفى الأعباء المالية. إن يوسف علي قد قام بتقديم خدمة كبيرة للإسلام والمسلمين، وفى ظل هذه الخدمة فإن الحكومة ستظهر كرمها. وإذا طلبت الحكومة، سأذكر حالة الشاعر نصر الإسلام، من شرق باكستان، حيث كان يتلقى دعماً ماليا مقدراً من الحكومة لعدة سنوات وذلك مقابل الخدمة التى قدمها للشعر والأدب. ومما لاشك فيه، فإن يوسف علي لايملك مالاً او احداً يقف بجانبه ونسبة لاستعجال الحالة، أكون شاكراً إذا وصلنى الدعم بالبريد القادم منكم ، ، .

أخذت حالة يوسف علي فى التدهور بالمرض ثانية وتوفى بمستشفى استيفن فى فلهام فى ١٠ديسمبر. وقام أسبانى بإرسال رسالة أخرى إلى كراتشى فى الوقت المناسب، ورد فيها ''عزيزى محمد علي، إلحاقا لخطابى ليوم أمس فيما وأصيب يختص بالعلامة يوسف علي،

كتبت إليك لأخبرك بمزيد من الحزن والأسى أن الرجل الفقير قد توفى بالمستشفى الساعة الثامنة مساء الليلة الماضية ويؤلمنى نهاية ذلك الرجل العظيم بهذه الكيفية السيئة ''.

إن دورة الحياة التى قضى معظم شبابها فى المؤسسات قد اكتملت . بما تحمله من قسوة فى نهاية المطاف وقام قادة الإمبرطورية البريطانية بالإنسحاب من الموقف. وكتب م. ا. بوجرا متأسفا قائلاً :''اذا كانت هذه الحادثة سيئة، فإنى أتمنى أن يقوم أحد برصدها مبكراً حتى تقوم الحكومة الباكستانية بإتخاذ موقفاً لتثبت أن الأيام الأخيرة من حياته قد انقضت فى نوع من الراحة التامة.

وتم تقديم التعازي بواسطة قاضى مقاطعة لندن فى يومى ١٤ – ١٦ ديسمبر ' 'تقديراً للأرملة وجهود المستشفيات التى مارضته '.

وأضاف القاضى قائلاً بأنه مقتنعاً بأن كل ما يجب فعله ليوسف علي قد تم. ولم توضح شهادة الوفاة شيىء ' سبب الوفاة الشيخوخة '. وقام موظفى المندوبية السامية الباكستانية بتجهيز الجثمان، وتم دفنه بمقابر برووك وود، قريباً من مسجد وكنج. على مقربة من مقبرة عالم القرآن الشهير مارمدوك بكثول .

كان يوسف علي قد حدد الأوصياء ومنفذى وصيته فى ١٩٤٠م ببنك ليودس، إبنه راشد، ومحاميه، هارولد سيمس. وعملاً لواجبه، قام بنك ليود بإخطار جامعة لندن بالإرث الذى تركه لهم يوسف علي كدعم لصالح طلبة الهند. ووجه يوسف علي بأن تسمى بعد اسمه على وجه التحديد. وعلى أية حال فإن إجتماع المحكمة فى ١٩٥٤م اعتبر ذلك الإرث جزء من منحة وكيل الجامعة لطلبة الهند. كما ترك يوسف علي توجيهات فيما يختص بمفكراته وكتب قائلاً: "لقد ورثتها إلى جامعة المسلمين فى الجور" (المحافظات المتحدة – الهند) وتبرعت بكل مذكراتى (محفوظة الآن بصندق حديدى مغلق) ووجهت بأن تضاف المذكرات إلى مكتبة الجامعة ويجب عدم

فتحها إلا بعد مرور ثلاثون عام على وفاتى '' هذه المذكرات لم ترسل إلى الكرخ وربما كان غموضها أحد الأسرار التى حملتها ماسوما إلى قبرها فى ١٩٦٢م.

مذكرات عن الدرس (٦)

١. خطط ادوارد الرابع لزيارة الهند في شتاء ١٩٣٧.وكانت رحلته الأولى، بعد إمارته لوولس ، في ١٩٢١م، وكانت خطاباته في تلك الفترة مليئة بالشجب لأجل إصلاح السياسيين، أمثال مونتاجو

٢. تم تقديم مقتطفات من الكلمات الي تم افائها بقاعة كاكستون، لندن في نوفمبر ١٩١٤ م.

٣. تم تقديم حديث يوسف علي لإتحاد أنصار الملكية في صحيفة كنسنتون، لندن في يوليو ١٩٣٧.

٤. يمكننا ملاحظة التطورات السريعة حول العالم، وقد وصف الكاتب جهود الحكومة التي وجهتها بقوة رأي العامة في بريطانيا العظمى، والتي كانت لأجل إقامة العدالة للشعب الهندي، لتعليمهم، ولتطوير مقدراتهم في مختلف المجالات، وبجانب مساعي الحكومة هذه، هنالك الجهود التبشيرية الهائلة التي كان يطالب بها الغربيون.

٥. كان عبد القادر ويوسف علي هم المتحدثون المسلمون الوحيدون في مؤتمر العام الماضي. وقد تمت دعوة المراقي، شيخ الأزهر ولكنه لم يتمكن من الحضور. وأشار عبد القادر في معرض حديثه إلى روح يوسف علي القرآنية بعبارات براقة. وتقبل يوسف علي هذا الإطراء واصفاً عبد القادر ب '' متبني أفكار المسلمين الحديثة ''.

٦. مقتطفات من كتاب '' حاجة العالم إلى العقيدة '' الكونجرس العالمي للمعتقدات، ١٩٣٧م.

٧. '' إن النزاعات على مستوى الأفراد تنشب بصورة أسهل من النزاعات بين المجموعات، أو النزاعات على مستوى العالم الحديث. ولكم المجتمع الإسلامي الموحد يعلو على النزاعات بين المجموعات والنزاعات على مستوى العالم. ويكون من المتوقع ان يكون النزاع لأجل السلام وليس الحرب.

٨. ورد في كتاب '' بريطانيا العظمى والشرق ''٤ نوفمبر، ١٩٣٧. أن وارس علي، إبن الأمير علي، العادل، قد قام بدعم يوسف علي. وتجمع بينهما صفات متشابهة :خدمات الآى سي إس، في الـ (يو بي) بزعامة اللورد ميستون ورد : إن كل منهما تزوج بامرأة إنجليزية مرتين.

الجزء الثانى

المساعى

الفصل الثانى

القضايا التربوية

القضايا التربوية

اعتمدت سمعة يوسف علي، إلى حد كبير، على ترجمة وتفسير القرآن، ولكن الجوانب الأخرى المكملة كانت فى حقل التعليم. ولعب دوراً أساسياً فى العديد من المؤتمرات التعليمية، وكان عضواً فى اللجنة التنفيذية لمجلس الشيوخ بجامعة البنجاب. كما عمل كذلك بمحكمة جامعة الكرخ. وهو الأكاديمى الذى قدم محاضرات فى جامعة لندن، وعمل كمنظم للكلية الإسلامية بلاهور وذلك فى إثنين من المناسبات وقام بكتابة كتب مدرسية. وكان معلماً عملياً، فى تسهيل تجهيز جداول المدارس المتوسطة، المعلمين، النفقات ، ومعسكرات الطلبة. وعملت حكومة الوحدة فى البنجاب بنصائحه وذلك فى إنفصال الهند فى الثلاثينات. وبذلك يكون قد ساهم فى برامج تعليمية قيمة تعود بالنفع على باكستان. أهلته هذه الأنشطة ليكون معلماً قائداً لشبه القارة الهندية بنهاية القرن. كانت أحاديثه وكتاباته فى القضايا التعليمية، تتناول دائما ثلاثة موضوعات وبإسهاب : موجهات العقيدة، المدارس الطائفية، سياسات ومشروعات تعليم الشباب فى المدارس والجامعات والمسألة التعليمية

تلقى يوسف علي تعليمه الأولى بأول مدرسة أولية فى بومباى تم إنشاءها لتقديم منهج تعليمى بريطانى فى العقيدة والمناهج الحديثة. وعند بلوغه العاشره كان قضى نحو سبع سنوات فى بومباى، حيث كان يحضر الدروس والمحاضرات التى كانت تجرى بواسطة المبشرين الاسكتلنديين. وأعقب ذلك ثلاثة سنوات فى كامبردج. لقد كان متعلقاً بالحياة الاكاديمية وترك موجهات لولايته ليستفيد منها طلبة الهند فى جامعة لندن. وكانت له خبرة فريدة فى التبريز فى الإجتماعات تضاهى نجوم التعليم أمثال، سيد أحمد خان، ومدام منتصرى. بالرغم من أن يوسف علي لم يكن أخصائى تربية نفسية، إلا أنه كان يحظى بمبادىء عملية وقابلة للإنجاز. وكان يعمل فى الخفاء، لتقوية المؤسسات التى سيرتبط بها. إن تشديده على الموضوعات المتعلقة بالنواحى التعليمية، جعله يسبح عكس التيار لأن القادة المسلمين – إخوة على، جينا، إقبال – يعتقدون أن الصراع لأجل الاستقلال السياسى قد تجاوز حد المعقول. قام يوسف علي

بتجنب السياسات الجدلية، لأنها نوع من التعرية للنشاط السياسى الذى يؤدى إلى إحراج البريطانيين أو عدم الثقة من جانبهم. كما اعتبرها عائق لتطور الهند وصرفها عن مشاكلها الحقيقية. ولازال متمسكا بهذه الحقيقة فى مواجهة الظروف. وفى خطاب له فى الكلية الأنجلو عربية فى أكتوبر ١٩٣٩م، تحدث يوسف علي، للطلبة المستمعين، عن أهمية العمل الذى يجب القيام به لمواجهة مشاكل التعليم ، الإضطهاد والإسكان والتى تواجه الشباب فى الوطن. والخطاب كان فى وقت، كانت الدراما السياسية فى أوجها حيث كان كل من، الكونجرس، الإتحاد الإسلامى ونائب الملك، يناور لإدارة دفة الحرب لمصالحهم. وهذا الفرق لم يجعله أقل حساسية لتطلعات المسلمين والثقة بنفسه. كان محمد إقبال قد أشار إلى أن عبد الله يوسف علي هو افضل خريخ لتولى رئاسة الكلية الإسلامية فى ١٩٣٥م، لمعرفته التامة بالإنحرافات فى معتقداتهم السياسية. إنها ثقة وليست خيانة. وفى إحدى المرات اقتحم أحد الطلاب، بالكلية الإسلامية، مكتب يوسف علي بأسلوب فيه نوع من الخضوع والتذلل . وهذا التصرف يحمل التحذير التالى : '' إن الشاب المسلم لا ينحنى ولا يخضع وإنما يقف شامخاً ويتحدث ''. إنها حكاية صغيرة عبارة عن مجلدات تعبر عن أمنيات يوسف علي للجيل القادم .

كان يوسف علي حذراً جداً فى تعاملاته مع المدارس الطائفية فى الهند. ، وربما يكون ذلك نسبة لخبرته كطالب ومنظم فى مثل هذه المؤسسات. وكان اعتراضه فى بداية الأمر لأسباب تربوية. وحتى فى الكرخ، فإن المعلمين الدينيين، كانوا موجهين بأن يقوموا بالتدريس على المنهج القديم والذى لا يلائم الطلبة ولكن يلائم والديهم والمجتمع بصفة عامة. بينما تم توجيه قادة اللجان لتقديم تعريف وافى للمعلمين الدينيين وكان الأعضاء على موقف معاكس ويتمسكون بوجهات نظر مغايرة، وحتى تقارير المساومة التى كانوا يقدمونها، فإنه وفى غالب الأحيان كانت تسجل وبعد ذلك تنسى. وكان يوسف علي قد تأذى من عملية منح الرجال المسنين تعليماً دينياً بطريقة عتيقة، كما أن المعلمين لم يكونوا من الكفاءات فى مجال التعليم الدينى أى كان نوعه. وبعيداً عن المفارقات بين المسلمين فى مضامين التعليم الدينى وفقدان

المعلمين المتحمسين، فإن يوسف علي كان لديه فلسفة فى التعليم الدينى باعتباره مادة أساسية فى مستوى التعليم الأولى أو المتوسط. وفى حديث له فى المؤتمر الجامع للمسلمين فى سبتمبر ١٩٣٨ ، أوضح يوسف علي أن مثل هذا التعليم يمكن من إدراك الرسالة ولكن لا يمكن من تعليم أخلاق العقيدة، وأردف قائلاً '' لقد طلب منى عدة مرات ومطلوب منى الآن أن أساعد فى إعداد المنهج الدراسى للتعليم الدينى. وأضاف قائلاً أن من وجة نظره فإن منهج وتاريخ الأمر الدينى يحظى بقليل من الإهتمام. ومثل هذه المناهج الدراسية مناسبة مع الدراسات المتعلقة باللاهوت، الراغبين فى التحضير لوازرة الشؤن الدينية. وهى تتطلب دراسة عميقة لتاريخ الأديان، الفلسفة والأدب والمعرفة العلمية للغة العربية والأدب. ويتطلب ذلك، بدوره فترة زمنية طويلة من دراسة التخصصات. إنها ليست للدراسة اليومية للعامة، ولكن على كل العاقلين أن يتعلموا السلوكيات والتعامل مع الحياة اليومية فى ظل عقيدة عالمية مثل الإسلام. إن موجهات عقيدتنا تجعل منا أفضل الرجال والنساء وليس منزوين بعيدا عن إيقاع حياة الأمة ومؤدين دورنا على الوجه الأكمل . وأضاف يوسف علي قائماً '' إن أفضل توقيت لتلقي هذه الموجهات هو مرحلة الطفولة وأن افضل مكان لتعليمها هو المنزل '' وقد أدت وجهت نظر يوسف علي لتصنيف المدارس الطائفية كجهات خلاف، ولكنه كان يقظاً ويدرك تماماً أن الآباء والأمهات المسلمون لايرغبون فى تعليم خالى من جانب الروح وعبادة الله. وأصبح من الملاحظ أنه بإنتشار التعليم الطائفى فإنه سيعمل على استمرار النعرة الطائفية فى العقيدة ويحبط التقدم السياسى ''. وكتب يوسف علي تلك المقالة فى ١٩٢٥م بصفته محامى للإتحاد الهندى. وعلى أية حال، فإن التعايش فى مجتمعات مثل الهندوس والمسلمين ولكل منهما تقاليد ومعتقدات منفصلة ليس فى العقيدة فحسب، بل فى العرق، والإقتصاد والإجتماعيات وعد التساوي من حيث العدد، والمصادر فإن ذلك يتطلب إجراء العديد من التسويات. ولحسن الحظ، فإن المدارس الولائية ليست طائفية. إذ أن خبرة المدارس الطائفية على المدى البعيد يمكن أن تحاول إجراء إنتهاكات لا داعى لها على الصرح الوطنى. وصل يوسف علي إلى رئاسة الكلية الإسلامية للطائفة المسلمة فى ١٩٢٥م عن طريق هذه الإيضاحات. بعد عقد من الزمان وفى مؤتمر مسلمى الهند

فى ١٩٣٦م، فى دورة انعقاده الثانية، قام يوسف علي باستعراض وجهة نظره التى ترمى إلى أنه على المجتمع المسلم أن يتقبل سياسة تعليمية مبنية على قاعدة عريضة بدلاً عن الإنزواء والعزلة. وأردف محذراً المؤتمرين '' إن المجتمعات التى تخشى مجارات مثيلاتها، سيصيبها الإحباط والخيبة فى القرار النهائى للتاريخ ''.

إعتزم يوسف علي إدخال التعليم الديني على المناهج التعليمية . وقام بوضع تصور لمخاطر المناهج الالكترونية التى حدت من الطائفية. وقام بتقديم مقترحه فى المؤتمر التعليمى فى البنجاب فى ١٩٣٧م : ' على المتمسكين بالليبرالية فى مختلف المجتمعات أن يضعوا شروطاً لتدريب الأساتذة المنافسين كموجهين دينيين. وهؤلاء، من جهة ويتجنب هؤلاء التقيد من جهة ، ومن جهة أخرى ويشكلون ضغوطاً على النماذج الأخلاقية من جهة، تشكيل الشخصية، والحاجة إلى التعاون والوحدة بين مختلف قطاعات الشعب '. وهذه الآراء هى التى تشكل مؤتمر العقيدة العالمى الذى ينعقد صيف كل عام فى بريطانيا وكان يوسف علي يحضره بإستمرار. وعلى الرغم من تحفظاته عن الكليات الطائفية، أبدى يوسف علي موقفاً إيجابياً تجاه الكلية الإسلامية. وكان يعتقد أن التقييم الكلى لكليات المجتمع :'' إن مستوياتها يجب أن تكون عالية كغيرها من الكليات الأخرى، وفى ذات الوقت تفي بالإحتياجات الخاصة بالمجتمع ''. وقام باستعراض نجاحاته قائلا: ''إن ٧٠% من طلاب فصوله قد حققوا نجاحاً، وأن أحد الطلبة حقق المركز الثانى على مستوى المقاطعة''. مؤكداً على فكرة التوجيه الدينى . واستهل يوسف علي خطبة الأحد، والتى تناولت بعض جوانب العقيدة من وجهة النظر العلمية، الأدب، الفلسفة، الرياضيات أو غيرها من العلوم التى خصص المتحدث الحديث عنها. وعلى كل، فإن يوسف علي أصبح مسؤولاً بارزاً منذ أن طالب الطلاب بإرجاعه بعد النزاعات المريرة مع فئة انجمان – حماية الإسلام وكان ذلك فى شتاء عام ١٩٣٦م لقد أخذت أيام الرياضة بالكلية جزءاً من ماضيه، وكان قد نال الفوز فى إحدى المناسبات. وكان مخلصاً جداً فى إلتزامه حيث قال:

''كيف يمكن أن أنساكم،

شباب لاهور الأعزاء !

لقد التفت أحلامى حول مستقبلكم،

وحبى لكم يزيد دوماً

ألم تمنحونى نبض قلوبكم ؟

ألم تكن سعادتكم سعادتى ؟

ألم نتشارك العمل واللعب ؟

حينماً كان الشباب فى نضارته وعظمته،

مرافقاً لذلك العمر الذى واجهه

صولجان الخبرة،

الذى حصدت الحياة من مرارته

وقد تجولنا خلال الطبيعة والكتب،

وعملنا معا، بحيوية،

وضحكنا معا عندما وجدنا

الحقيقة متخفية بشكل مزاح .

ثم العودة إلى الأيام الخالية،

التى تمثل مخزن غنى للأحداث.

أو، كيف يمكننى أن أنساكم،

شباب لاهور الأعزاء ''.

قدم يوسف علي إسهامات للسياسات التعليمية فى التعليم المتوسط والعصر الجيولوجى الثالث وتعليم الشباب. وعلى الرغم من أن هذه المجالات تمثل مخرجات نهائية للطيف التعليمى، فإنه كان يعتقد بأن تعليم الشباب والتعليم الأوسط متداخلان لأنه ' إذا أردنا تعليم أبنائنا بصورة جيدة، فإن ذلك يتطلب أيضاً تعليم الآباء والأمهات. إن الآباء والأمهات يمثلون عامل مساعد كبير أو عائق للمعلمين ' واعتبر التعليم الأوسط هو الرابط الأضعف فى نظام التعليم بالهند. ويبدو أن الهدف الوحيد للتعليم الأوسط هو القفز إلى التعليم الجامعى، بينما فى الحقيقة يجب أن يوفر أيضاً الجوانب المهنية والمتعلقة بالحرفة للذين لم يتحصلوا على دراسات عليا. ان السواد الاعظم من السكان يعملون بالزراعة، والتعليم الزراعى الجيد يساعد فى الحد من إخلاء الريف من السكان أو تسرب ذوي العقول النظيفة إلى المدينة '. وفى منتصف الثلاثينات، كان يوسف علي يقظاً فيما يختص بموضوع الهجرة من الريف إلى الحضر. وقام بوضع أساس للتعليم الحديث يعتمد على الجغرافيا الإقتصادية ' فى البدء لأجل الأهمية '. وكان التعليم الحرفى يمثل الأولوية الثانية بالنسبة ليوسف علي وذلك نسبة لأن المجال الزراعي وكما هو مفهوم فى القرن التاسع عشر واجه عددا من المنتقدين أكثر من المدافعين. وإن الصناعة على نطاق واسع ليست مناسبة، ولكن بدلاً عن ذلك فإنه من الممكن اتخاذ خطوات لاستدراك أهمية المهارات اليدوية والإصلاحية والتى كنا نتخوف من فقدانها فى فترة الجيل الثانى أو الثالث، ولكن لاتزال الفرصة مواتية لاستدراكها وحمايتها عن طريق نظام تعليمى مناسب '. كان يوسف علي يمثل ثروة ثقافية لحكومة الوحدة فى البنجاب خلال فترة الإنتشارالسريع لمدارس الولاية الوسطى فى المقاطعة.

إن الجامعات فى الخطاب الرنان ليوسف علي تمثل '' مؤسسات لفهم الحقائق ''. وقد عمل فى لجنة التحقيق بجامعة البنجاب فى الفترة من (أكتوبر ١٩٣٢م حتى مارس ١٩٣٣م) والتى كان لها صدى واسع فى دراسة السياسة المالية وتطوير الخطط الخاصة بالجامعة. وقدم

احتجاجاً ضد الخطط الرامية إلى إدراج الكليات الحالية فى الجامعات وذلك نسبة لأن الجامعات الحالية أصبحت لا تملك قاعدة مالية مؤمنة أو جذب المدخرات. وقد أدى وجود فرصة لمضاعفة عدد الجامعات إلى ازدياد ضعف جامعاتنا. إنها فكرة غير مقبولة لتبنى، كما فى الفترة ١٩٣١م – ١٩٣٢م التى كانت فترة توترات فى المجتمع فى البنجاب وكان هنالك مطلب شعبى من قبل الجماعات المسلمة، لتصعيد إحدى كلياتهم إلى مستوى جامعي. واستجاب يوسف علي لمطلبهم قائلاً :'' إنها ليست قضية '' السمكك والطعم '' – إن التلميح لتوظيف جامعة جديدة يعتبر إضافة لمسلمي المقاطعة – ولكنها قضية حفظ جودة ومظهر التطور الأكاديمي والثقافى للقطر. كان يوسف علي ينتقد نظام جامعة الهند ، محتجاً بأنه غير ملائم لظروف الهند ويجب فحصه بدقة متناهية. وكان مفهوم الجامعة ، من وجهة نظره، أنها فى طور البدايات : '' إن الجامعات مقصود منها اختيار أفراد يستطيعون التفكير بصفة مستغلة ويتصرفون بصورة منطقية ''. أدت سمعة يوسف علي إلى طرح مفترحات فى الصحافة فى عام ١٩٣٦م بأنه قد تم ترشيحه من قبل الحكومة لوظيفة وكيل لجامعة البنجاب. إن نائب المستشارية الهندى، لسوء الحظ، لايزال بعيداً عن الأحداث ولكن يوسف علي ليس من الذين يهمشون الآخرين لاجل المصالح الشخصية. وتقبل يوسف علي منصب السيد الأعلى لبريطانيا ولكن دون تذلل وخضوع.

وكان متطوعاً فى نشر تعليم الشباب فى الهند. وكان معترضاً بشدة لوجهة النظر التى تقول إن على الجامعات أن تكون وجهة للقديم والراهن. وأن لأفراد المجتمع الآخرين الحق في التعلم ولكن من خلال المؤسسات التعليمية الأخرى. وقد شارك فى العديد من التجارب التعليمية الخاصة بالشباب فى البنجاب. وكانت احدى هذه التجارب مع المجتمع لترقية المعرفة العلمية التى كان مشرفاً عليها فى ١٩٣٦م. وناقش يوسف علي خبراته المختلفة ومشروعاته، وذلك فى المؤتمر الذى عقد فى بريطانيا فى ١٩٣٧م . وكان أحد هذه المشروعات متعلق بمجموعة من طلبة كليته الذين اجمعوا على إقامة دروس لتعليم القراءة والكتابة فى الفترة المسائية بمناطقهم فى لاهور. وابتدأت الفصول الأسبوعية ولكنه لم يكن بالإمكان استمراريتها لفترة

طويلة، وذلك نسبة لأن الدارسين أوضحوا بأنهم ليسوا كبار سن لتلقي العلم فقط، ولكن لديهم أعمالاً خلال اليوم تجعلهم منهكي القوى لتلقي العلم ليلاً. وقام يوسف علي بعرض خبرة أخرى حيث يعمل هو وأصدقاؤه على تجهيز مبانى المدارس للدراسة فى الفترة المسائية. وكان المعلمين من المحترفين العاملين بالمدارس العاملة ولكن الإجهاد كان كبيراً بالنسبة لهم وبعضهم أصيب بالمرض جراء العمل الإضافى. وكانت الخلاصة بالنسبة ليوسف علي، أن التركيز على القراءة والكتابة فقط ليس كافياً لتعليم الكبار ومن الضروري وجود أنشطة يدوية أخرى مصاحبة . كما أن تعلم القراءة والكتابة فقط لا ينشط كلياتنا، ينق عواطفنا أو يحرك إحساسنا الداخلي بالرضاء الأخلاقى والروحى والذى بدوره يمثل جوهر الصحة والحياة الرشيدة. أما البرنامج الثالث الذى ابتدأ تحت رقابة عبد الله يوسف علي، كان مدرسة الكبار فى موقابورا، وهي منطقة صناعية تقع فى ضاحية لاهور. وعمل مع مجموعة تسمى '' الأصدقاء الصغار، بالبنجاب'' وهى تعمل فى توجيه الأميين والبالغين المثقفين، ويتضمن برنامجها ألعاب، رحل، محاضرات، وغيرها من الأنشطة. وكان شعار هذه المجموعة '' تنظيم الشباب بعيداً عن الطبقات الإجتماعية يؤدى إلى انعتاق الهند '' وكان يوسف علي بصدق لا يحبذ التعميم فى حقل التعليم. إن مسألة اللغة المألوفة كانت تمثل موضوع النقاش الأساسى والذى رتب يوسف علي نفسه بحزم عليه واعتبر اللغة الإنجليزية هى الخيار العملي بالنسبة للهند. حيث أن النظام التعليمى كان قد توج اللغة الإنجليزية كلغة أساسية بالنسبة إلى الثقافة. وقام بذكر العديد من المساوىء فيما يختص بتبني لغة الاردو، لأنها صعبة الفهم بالنسبة للارتسان او بلاومان، مقارنة بالبنية البسيطة للغة الإنجليزية. يجب اختراع لغة هندستانية تناسب العامة بالشوارع فى كل أنحاء الهند، واختراع اللغة يتطلب توفير قدر كبير من الشروط التقنية فى الفنون، والعلوم، كما يتطلب تقنيات حديثة لمواجهة المخترعات الجديدة مثل الإذاعة والسينما. .إلخ. ومن ناحية أخرى، فان اللغة الإنجليزية تعتبر لغة عالمية. وتتم الإتصالات عبرها ليس فقط بين المجتمعات المختلفة داخل الهند ولكن بين المحافظات الهندية والعالم الخارجى. ومع نمو نظام الحكم الذاتى، تخوف يوسف علي من أن تهمش اللهجات الإقليمية حتى فى الجامعات، كما

حدث فى البنقال، مما يؤدى إلى تأثيرات خلافية بعيدة المدى. وفى عام ١٩٣٧م، قام يوسف علي بتنبيه الجمهور المسلم فى الكرخ قائلاً :'' إنه من الخطأ فى حق المجتمع المسلم أن يركد وراء تعلم اللغة الإنجليزية، والتى تعتبر اللغة الأساسية للهند فى الوقت الحاضر وستظل كذلك كما نرى الآن.

نال يوسف علي جائزة الرجل المتألق والتى مكنته من صياغة أفكاره بصبغة جديدة. حتى فيما يختص بتحليل القضايا الدنيوية فإنه كان لديه الجديد ليقوله. وفى كثير من الأحيان كان ملهماً باعتقاد أنه يجب مخاطبة القوى الكامنة فى الإنسان . كما أن وجهة النظر مهمة جداً بالنسبة للمتعلم. وكتب فى إحدى المناسبات فى ١٩٣٨م قائلاً :'' فى كل أعمالنا الأدبية والإدارية فإن العنصر البشري يجب أن يؤخذ فى الاعتبار. وإلا، فإن عملنا سيكون خاوياً ولا معنى له''. إن إحساس يوسف علي بالاهتمام بمسألة التعليم ظهر عند مناقشته لقضية التعليم الريفي. وأوضح أنه ليس كافياً توفير مستوى أساسي من الكفاءة التقنية، ويجب تبصرة الأولاد والبنات بجمال الريف. '' وإذا استطعنا أن نجعل شباب القرى المتعلمين يعجبوا بجمال الريف ويفخروا بالمستوى المتقدم للزراعة فإنه بإمكاننا إثراء حياة الريف وتطويرها بدلاً عن النزوح تجاه المدن '' والمثال الآخر الذى أدى إلى تنوير بصيرته كمعلم، هو ملاحظته لقواعد التدريس ' أن الأطفال قريبين من القالب الذى خلقنا الله عليه، إنه لامتياز رائع ، ولذلك فأن على الأساتذة التوصل إلى مثل هذه الطبيعة ودراسة بواطنها، قبل أن تفسد بالدوافع المشكوك فيها ، ولتعطيها لمسات من الرعاية الإلهية . إن المثال الأفضل لمعرض يوسف علي كمعلم ينحصر فى الروح المعنوية المتزايدة والثقة الزائدة التى جلبها خلال فترته الثانية من مدة خدمته كرئيس للكلية الإسلامية. وقد احتوى آخر خطاب له من حديثه اليومى للطلبة وصية نظرته التربوية وورد فيها '' أود أن اختم حديثى ببضع كلمات إلى طلبتى. أعزائى الطلبة، لقد عملنا معاً فى اتفاق، وتفاهم ومودة. وقد البعض منكم جوائز وهدايا وامتيازات. وقد تفوزوا أكثر فى العمل الأكاديمى والحياة بصفة عامة. وتهتموا بالجوانب الجميلة للشخصية. وبرز البعض منكم فى مجال الرياضة. وابنوا

أجسادكم بصورة صحية ولكن لا تهملوا جانب المعنويات والثقافة. والبعض منكم لم يوفق للبروز، ولكن يعتبروا متوسطين. يجب ألا تخور عزيمتكم. إن العالم يتكون من الرجال المتوسطين، وستكونوا محكومين بالسلامة والإخلاص والحقيقة. وربما يكون بعضكم فاشلاً. وطالما أن قلوبكم سليمة وعقولكم لم يستحوز عليها الشر، فليس هنالك ما يجعل اليأس يدب فى نفوسكم. وأن الفشل فى إحدى المجالات قد يتحول إلى نجاح فى المجال الآخر. اكتشفوا أذواقكم وكفاءاتكم وحاولوا استغلالها بدلاً عن أن تخوضوا الصعاب فى العالم القاسى. نحن الأقدمون جاهزون لمساعدتكم، ولكن يجب عليكم أن تستصحبوا المبادرة، الإختيار والمسؤولية. وقد يكون البعض منكم قد أخطأ وتعرض لعقوبة قاسية. وإذا تقبلت عقوبتك بروح معنوية طيبة فان الله سيبارك لك فيها. لأن الغرض من العقوبات التى نفرضها هو الإصلاح وليس الحقد ، أعزائى الطلاب ! كلكم أعزاء بالنسبة لى، سواء كنتم نابغين أم أغبياء، مملين أم متوسطين، جيدين أم دون المستوى الذى أرغب أو أتوقع. وقد حاولت، بكل الطرق التى قد تعرفونها أو لاتعرفونها، أن أشكل أفكاركم وشخصياتكم. حاولوا أن تنموا أفكار جديدة، قلوب كبيرة مفعمة بالحياة وأمنيات عريضة وعزيمة قوية وغرائز سليمة كالتى تتمتع بها كليتكم العريقة.

كان على طلبة يوسف علي بالكلية الإسلامية أن يشكلوا قطاعاً مهماً من المفكرين الباكستانيين للعقود الثلاثة القادمة. وستكون هنالك إلتزامات على هولاء المتعلمين الملهمين.

مذكرات عن الدرس (٧)

١. بيان، دلهي، ١٤ أكتوبر ١٩٣٩.
٢. من الدرس '' الأفكار العقدية وحضارة المسلمين ''، في كتاب '' الهند الجديدة والغرب، صفحة ٣٩٩.
٣. من كتاب يوسف علي ''أروبا والهند '' الصفحات ١٠٣– ١٠٤.
٤. خطاب يوسف علي ''الجامعة في عالم متغير ''، المؤتمر الذي عقد بنهاية الأسبوع بكلية 'إف سي' ، لاهور، ٧ سبتمبر، ١٩٣٦م.
٥. دعى يوسف علي لـ '' إكمال التنسيق للنظام التعليمي الشامل من البداية إلى النهاية '' وذلك في حديثه بنادي الروتري بلاهور في ١٧ مايو ١٩٣٦م.
٦. مذكرات نعي ل، دبليو. إتش موريلاند، التايمس، ٤ أكتوبر ١٩٣٨م.

الفصل الثالث

عالم مرتب على نحو جيد

عالم مرتب على نحو جيد

فى العام ١٨٩٦م كانت عاصمة الإمبراطورية البريطانية تعج بالتجهيزات لليوبيل الماسي لتنصيب ملكة فكتوريا. وقد قيل وبكل قناعة أنه ليس هنالك مملكة استطاعت ترتيب الأمور على مستوى العالم منذ سقوط روما. ووقفت بريطانيا منيعة كقوى عالمية بتفوق المثقفين من الطبقات الحاكمة. وفي هذا الوسط أكمل يوسف علي دراساته في لندن. وكغيره من الهنود من الطبقات الوسيطة، الذين شقوا طرقهم إلى بريطانيا عن جدارة واستحقاق وليس عن طريق الثراء أو الرتبة، وهو الآن جزء من النخبة الهندية الذين سيحظون بأوضاع مريحة عند عودتهم إلى بلدهم يقودون حياة خالية من المشاكل مع العالم المحيط بهم، يسبحون من التيار، وإذا سارت الامور كما ينبغي، فإنهم في نهاية المطاف سيجمعون المناطق المجاورة. إن التغيير يحتاج الي قوة.

إن نوع الشخصية الإسلامية التي ظهرت خلال فترة الإستعمار كانت ترى أن هدفها الأساسي هو خلق تأليفة، الإتحاد من الباطن، تعمل على التوفيق بين الحكام والمحكومين. وكان ليوسف علي دافع نفسي شديد نحو بناء جسر للتواصل بين الشرق والغرب، وقد أثر ذلك في حياته على كل المستويات، من العلاقات العامة إلى الأكثر خصوصية. وقد أدى ذلك إلى اختياره لزوجة إنجليزية، ليس لمرة واحدة بل مرتان. وقد اقتاد نداء الداخل يوسف علي إلى التوفيق بين المتضادات، مغامرة دائما ما تنتهي بمأساة. وكان له الكثير من المنتقدين الذين يعتقدون أن موالاته للإمبراطورية واعتناقه للمؤسسات مثل عصبة الأمم، مجرد إنتهازية. وعلى أية حال فإن أفعال يوسف علي كانت ناجمة عن تفكيره العقلاني الذي كان مصدر قوته الذي أهله لأن يكون مثالياً.

وكانت الحضارة التي قدمها يوسف علي في لندن في العام ١٩٠٦م، أول مناسبة يتحدث فيها عن بحثه عن الإنسجام بين الشرق والغرب. وكان ينظر لنفسه كأحد '' رجال الجامعة في الهند '' مشيراً إلى خريجي أكسبرج العائدين، الذين لازالت أذهانهم تبحث عن التوفيق بين مثالية الغرب والتقاليد الشرقية. الكتاب الذي تم إعداده من هذه المحضارات قد نسب

إلى جورج بيرد وود، الذي مس مشاعر الغربيين. الغرب، ككيان دائما كان يعني شيء خاص بالنسبة ليوسف علي. ان الوحدة الجيدة بين الشرق والغرب تمثل هدف الحياة، وقد حدد ذهنه المتوقد طريقين للوصول إلى القمة، وهما – الفن والصداقة.

ونبع إختيار يوسف علي للفنون من تدريباته الأكاديمية كشخص كلاسيكي. حيث أعاد حب فنون هيلين للفترات الأولى. وهنالك مرجعية لقواعد الفنون قد تم نشرها في باملت في العام ١٩١٦م. تصف معارض روبن ومستروفيك التي عقدت في تلك الفترة في لندن، وقد لاحظ كيف مثل النحاتون الأفكار العميقة لتحالف الأمم من خلال فنهم. وأردف يوسف علي قائلاً '' إن مثل قوة الفن هذه، التي تؤكد السمات الوطنية، إنها حقيقة تضيء الظلمات وتخدم في توحيد الأمم ''وجد المزاج الفني ليوسف علي تعبيراً في الشعر، الذي استخدمه في وصف مشاعره فيما يختص بالحرب العظمى وتطلعاته للمستقبل وصاغ ذلك في أبيات من الشعر كتبها في ١٩١٨م قائلاً :

إذا اتحد الشرق والغرب

والشمال والجنوب فى وحدة فنية ،

لماذا تتذبذب روح الإنسانية

وتقل فعاليتها الآن، لماذا خفت ضؤها ؟

ولتكن على ثقة : أن آلام المخاض هذه

ستبشر الإنسانية بحقبة جديدة من الزمن.

بالطبع، فإن الحقبة الجديدة من الزمن سوف لن تبدأ عقب الحرب، لكن تفاؤله باندماج العالم في تناغم لم يتلاشى. في العام ١٩٥٢م أكد يوسف علي أن '' أفضل الاحتمالات لبناء الصداقة على مستوى العالم يمكن تحقيقها من خلال الوسط الفني ،،

بعيداً عن الفن، فإن الوسائل الأخرى لتحقيق الإنسجام بين الشرق والغرب يمكن أن تتم من خلال معرفة القيم الروحية المشتركة. وأردف يوسف علي قائلا :''من وجهة نظري، إن عقيدة الرجال المفكرين واحدة، وعلى أية حال فإن الإختلافات ربما تكون في الفلسفة التي يفصحون بها عن غرائزهم الروحية، أو الطريقة التي يعبرون بها عن أمنياتهم ''. إن نظرة يوسف علي للتعاون الدولي من خلال لغة الفن المألوفة والصداقة التي ترتكز على القيم الروحية المشتركة قادته إلى تنوع المنظمات. وقام بتأسيس دائرة لاهور الفنية وكان رئيسها في العام ١٩٣٧م.

وكان يوسف علي عضواً فعالاً في الكونجرس العالمي للمعتقدات في الفترة من ١٩٣٦م إلى ١٩٤١م وشارك في الكيان المماثل، الإتحاد الأخلاقي. وكذلك كان عضواً بنادي لاهور وتحدث في إجتماعات النادي والمائدة المستديرة في بريطانيا. وقام بدعم عصبة الأمم، معتقداً أنها ربما تكون قالبا لـ'' تطور الإنسانية '' وكذلك شارك في برنامجها '' السلام من خلال العقيدة ''.

قادت مساعي الصداقة العالمية، يوسف علي للتوصية بالماسونية في الهند. وقام مراجع كتابه '' تأريخ الثقافة في الهند خلال الحقبة البريطانية '' بالتعقيب قائلاً : '' من أفضل فصول الكتاب هو الفصل الذي تناول آثار القانون، المجتمع، الأدب، الفلسلفة والأفكار العلمية الغربية على مؤسسات الثقافة الهندية. إن أهمية الماسونية كوسيلة لرتق النسيج الإجتماعي والعرقي ليست كما ينبغي.

كان يوسف علي يعتقد ضرورة التعاون الدولي خلال الحرب العالمية الثانية. وفي مايو ١٩٤١م كان لا يزال يكتب في نفس الموضوع كما كان خلال الحرب العظمى ١٩١٤م– ١٨، حيث كتب :'' عند إنتهاء الحرب، فإن الأوضاع سوف لن تكون كما كانت عليه قبل الحرب. وسيواجه كل شخص وضعاً يفرض عليه جهوداً لتوفير كل الضروريات اللازمة لبناء عالم جديد.

وفقاً لخلفية يوسف علي الثقافية، فإن السعي لإيجاد الإنسجام والصداقة بين الشرق والغرب من البديهي أن يقود إلى التعاون بين الهند من جهة، وأروبا وبريطانيا من جهة أخرى. وكتب يوسف علي كتاباً بعنوان '' الهند وأروبا '' أوضح فيه أسبابه الجوهرية قائلاً: ''إن التجديد فى الأفكار والأعمال والأخلاق ووجهة النظر المادية كما هو الحال في أروبا، يعتبر خطوة طبيعية للتحول الذي تساهم فيه البشرية جمعاء ''. ستأخذ الهند من محاسن أروبا، وفي المقابل فإن الخبرات الدينية والرغبات الروحية المتجذرة في الهنود ستساعد في فكرة أروبا الحديثة ، كما سبق أن ساعدت في فكرها. وفي رأي يوسف علي، من المنطقي أن يسعى كل من الشرق والغرب للإنسجام، طالما أن رموزهما – الهند وأروبا لديهما كثير من العطاء لبعضهما.

استطاع يوسف علي أن يعبر عن تبعيته للإمبراطورية البريطانية باستخدام مصطلحات أكثر محدودية. وكان يقظاً فيما يختص بالطريقة التي ساعدت بها الهند بريطانيا لتحقيق عظمتها. وقد وفرت الهند لبريطانيا أرضية تدريبية عظيمة للجنود والمدنيين والمديرين والمتعلمين. وكذلك وفرت لرأس المال البريطاني مصادر غير محدودة من المشروعات الإستثمارية، التي ستستكشف إمكانيات جديدة تظل تحت سيطرة بريطانيا. كما وفرت أسواق ممتدة لكثير من الصناعات البريطانية ، ووفرت المواد الخام المختلفة للصناعات البريطانية. وتحمل السفن البريطانية تجارة الهند وتعمل المصانع البريطانية في صناعتها. وكذلك فإن وضع الهند في وسط آسيا يمكن بريطانيا من الحصول علي وضع مميز في الشرق. وفي المقابل فإن '' السلام البريطاني '' قد مكن الهند من تطوير مصادرها المادية والمعنوية. وعضويتها في الإمبراطورية التحررية العظمى مما أدى إلى اتساع أفقها، وجعلها علي مقربة من الأفكار العظيمة والتحركات العملية في العالم. وتحولت منظماتها الإجتماعية تدريجياً من القاعدة القديمة أو القرون الوسطى إلى قاعدة ديموقراطية . وقد تحركت كل جوانب الحياة في الهند بحب انجلو ساكسون . وهذه المشاعر التي تم التعبير عنها في ١٩١٨م قد أمسك عنها يوسف علي في المناسبات السياسية وكتاباته

اللاحقة. وقد تعاون على نطاق واسع في سنوات الحرب الداخلية مع الحكومات المناصرة للوحدة الملكية في البنجاب.

قام يوسف علي ببذل جهود مقدرة في توضيح ولائه للإمبراطورية وتمسك به حتى في مواجهة صراع الهند لأجل الاستقلال. وبالرغم عن حزنه من التكبر العرقي للإنجليز إلا أنه مرتبط بهم بعدة روبط منها الزمالة، التعليم، الزواج، العمل والصداقة.

تبقى فصل أخير من مخطط يوسف علي الثقافي، فالإعتماد المتبادل بين الهند وأروبا يتطلب تعاون مسلمي الهند والعالم الإسلامي مع بريطانيا. وقد أوفى المسلمون بوعودهم في الحرب العظمى ، لأجل مصالح بريطانيا والسلام العالمي، وكذلك سيعلن يوسف علي فيما يختص بالحرب العالمية الثانية ' السياسة البريطانية في الشرق الأوسط لأجل مصالح ولايات المسلمين ومسلمي الهند. وكان يوسف علي بمثابة الداعية المسلم النموذجي لبريطانيا في تلك الفترة. كذلك فإن لبريطانيا الكثير من التوجيهات للمسلمين. وبحلول العام ١٩٤١م في سن التاسعة والستين حيث أصبح يوسف علي لايرغب في الفروسية والشهرة كتب مقدراً للبريطانيين قائلاً '' إن الريطانيين لا يتباهون بأخلاقهم وإنما يستخدومنها بصورة أخوية ''. وفي هذا الجانب فإنهم يروقون للمسلمين – الذين يمتازون بنفس الصفات الشخصية – التي ربما تكون قد تغيرت في هذه الأيام.

إن المصالح المشتركة التي أحسها يوسف علي بين الهند والامبرطورية وبين الغرب والشرق تعتبر وجهان لعملة واحدة. حيث أن أعداء الإمبراطورية مسؤولون عن حماية وحدة الشرق والغرب. وكتب يوسف علي عن ''مكائد الهوهنزا '' وذلك بعد فترة وجيزة من نهاية الحرب العالمية الثانية، موبخاً الأسرة الألمانية المالكة واصفاً لها بالوقاحة والقلق. .. ومشيراً إلى الوحدة الجاذبة والتضامن بين الغرب والشرق والتي تمني أن يراها متجذرة ليس على نطاق الإمبراطورية فحسب، بل علي نطاق واسع من العالم ''. ويمثل ذلك الإحساس تعاطفه الإعلامي من أجل الإمبراطورية. وقد خاطر بحياته وسمعته في المهمة الموكلة له تجاه

اسكاندنافيا في ١٩١٨ لأجل إلتزامه الأخلاقي. وبعد مرور عدة أشهر كتب خطاباً لملحق التايمز الأدبي، موضحاً فيه أسباب أهمية تمثيله. موضحاً أن دور العدو هو بذر العداوة والبغضاء عن طريق تصاعد حدة النقاش. قام الشرق بتنمية الجوانب الروحية، بينما الغرب مشغول بالأمور الدنيوية – صراعات – حكومة – قانون بالإضافة إلى الحركة التجارية. ومن الواضح أن على الشرق إحتقار الغرب وله مبرراته لفعل ذلك. والعدو، بالنسبة لهذه الحالة الخاصة، ليس الألمان وإنما أعضاء اللجنة الوطنية الذين واجهوه في السويد. واستمر في خطابه قائلاً '' وقد التمست أن هذه الإفتراضات باطلة، إن الشرق ليس سلبياً ومتكبراً. وللغرب روحاً عليه حمايتها وكذلك حماية الشرق والآخرين. وساهم كل من الشرق والغرب ويساهمون في دفع عجلة التطور الأخلاقي للإنسانية. وعلى كل من الشرق والغرب العمل في القاعدة التي توفر لنا المبررات تجاه التاريخ –'' تلك الثقة التي تكمن بداخلنا''. ويجب ألا تقتصر أعمال بريطانيا في الهند فقط على الجوانب المادية، مع أنها تمثل أفكار رائعة. كما أنها أعمال عظيمة فيما يختص الجوانب الثقافية والأخلاقية.

إن مشاركة يوسف علي الشخصية في الملتقى الكبير – بكتابه التحول الكبير، دوره المميز – للمسلمين والبريطانيين، الهند والإمبراطورية، الشرق والغرب، سيمثل أروع كتاب على مستوى العالم ''. إنه كتاب ينتمي إلى '' الأدب الشرقي ''. ويتمثل دوره في تقديم الكتاب '' بشكل ملائم للغة الإنجليزية '' مضيفاً أنه يريد أن تصبح اللغة الإنجليزية ، لغة إسلامية. وقام بإنجاز هذه المهمة لإعتقاده بضرورة التركيز على التناقضات بين الغرب والشرق. قائلاً '' لقد قمت باستكشاف الأراضي الغربية، الأخلاق الغربية والتفكير العميق وتعلم الغرب والذى نادراً ما ينعكس على الشرق المتهالك . ولكني لن افتقد صلتي بالتراث الشرقي ''وأشار يوسف علي إلى وفاة الأمير العادل، علي، الذي انشغل بدور عليه أن يقلده : الإخلاص الصادق لأجل تقدم الإسلام والرابط الحقيقي للوحدة بين أفضل التقاليد لكل من الشرق والغرب ، وكذلك أخذ

يوسف علي حالة '' تقدم الإسلام '' ومن خلال ثقافة القرآن قام يوسف علي بتقديم أفضل التقاليد الشرقية للغرب.

عند إنعقاد الكونجرس العالمي للمعتقدات في كلية بدفورد – لندن في العام ١٩٤٠م، قام يوسف علي بوصف أهمية مشاركة الرجال لبعضهم البعض في وجهات النظر، ملمحاً إلى مساعيه الخاصة لتحقيق ذلك الهدف، حيث كتب قائلاً '' إن الذين لايخشون الإبتهاج بأن البعض يبحثون عن النور وإذا تحصلوا على إشعاع من غير نورهم، فإن ثقتهم ورغبتهم ستقوى وتمتد على نطاق أوسع. ولم يقم يوسف علي بإدخال ثقافة عربية عميقة لإنجاز مهمته أو أي تدريب رسمي في العلوم الإسلامية ولكن بكل صبر تمسك بثقته في مصير العلاقة بين الشرق والغرب وجعل رسالة الإسلام أكثر قبولا.

وعلى المستوى الشخصي، عاش يوسف علي متديناً، مواظباً على صلاة الجماعة، يؤم المصلين في صلاة الجمعة والعيد ويزور كربلاء ويحج بيت الله ويصوم رمضان ويكتب موضوعات عن الرسول صلى الله عليه وسلم مشيراً أليه بـ (الحبيب). وقد أعجب بشيخ القرن التاسع عشر شيخ كرامات علي، شيخ ديجوانبور، كما أنه متعلق بشيخ الطريقة. ولكن هؤلاء لا يدعون لأنفسهم الحقوق الخاصة بالكنيسة. كما أنهم لا يكتسبون ممتلكات علمانية كبيرة، كما أنهم لا يعيشون حياة مترفة.

إنه ضمن عالم مرتب على نحو جيد من الرؤى الروحية بين الشرق والغرب حيث يجتمعان في الإهتمام بالتص

كافياً من التطورات العلمية للدفاع عن وجهة نظره، ولا يجد صعوبة في توضيح أي ظاهرة غير طبيعية في لغة العلم. ويعتقد أن العلوم الحديثة ليست معادية للإهتمامات الأخلاقية . وبإتساع دائرة المعرفة والخبرة للعلوم الحديثة يقل الإهتمام بها.

إن روح المعاهدات الإسلامية من القرون الوسطى، والتي شرحت كل العلوم التي كانت سائدة في حينها، كانت تتسم بالتدين الشديد. نيوتن الذي ربما يعتبر أب لعلم الفيزياء الحديث كان

رجلاً شديد التدين. ويستطيع قراءة إكتشافات جينس وادنجتون الفلكية الرائعة كما يستطيع التأمل في قوة النشاط الإشعاعي وتكوين الذرة.

قدم يوسف علي واجهة مقنعة للإسلام إلا أنها تفتقد بعض العناصر الضرورية. والجانب الأكثر قصوراً هو رسالته فيما يختص بالجوانب السياسية والإجتماعية وعلاقة الشريعة الإسلامية بالشئون الخاصة بالدولة. إن العالم المرتب على نحو جيد فقط هو الذي يمكن أن يتلاءم مع الشريعة الإسلامية. وربما يعود ذلك للوضع بدولة الهند التي يمثل الملسمين بها أقلية أو خاضعين للسيطرة البريطانية. وتقبل يوسف علي، فكرة فصل الدين عن الدولة أو كما ورد في كلماته، '' إن الصراع بين الدولة والكنيسة – بالنسبة للغالبية – عبارة عن مسألة تأريخ ماضي، إن المطلوب الآن هو أخذ الجانبين من المعركة ''السخرية والحقيقة، اللامبالاة والجد، التنافس العالمي والغيرة، السلامة الشخصية والاستقلال ''. وأراد يوسف علي تبرير وجهة النظر هذه من خلال بناء الحجج المقنعة والتي أشار إليها في الدرس التالي من الكتاب. وكان يوسف علي مهتماً بإثارة الجوانب المتعلقة بالنظام والإنضباط في بريطانيا. ولا يستطيع أن يتنبأ بانهيارها الوشيك ورأى سموها المعتبر. وإذا قادته رؤيته الدينية لتقدير الوحدة وإنسجام الطبيعة، فإن إزدهار الإمبرطورية البريطانية كذلك سيكون جزء من إرادة الله سبحانه وتعإلى على الأرض.

مذكرات عن الدرس ٨

١. مقدمة عن حياة وعمل الشعب الهندي. ١٩٤١م.
٢. يكمن الدليل في الموضوع الذي كتبه يوسف علي فيما يتعلق بالعقائد، في يناير ١٩٤١م عن '' ثقافة الهيلانك والعالم الحديث '' واحتوى الموضوع على الآتي '' حب الإغريق للجمال شغل حيزاً في كل جوانب الحياة.
٣. أروبا والهند، ١٩٢٥م، صفحة ١٢٣.
٤. موضوع يوسف علي، في صحيفة اوفرسيز الشهرية الخصة بنادي اوفرسيز، والنادي الوطني في برستون اوفرسيز، فبراير ١٩١٨م.
٥. نسخة من موضوع يوسف علي الذي يتحدث فيه عن '' الإنتهاكات في بلاد المسلمين'' وتمت كتابته في ١٩٤٢م.
٦. إجراءات الكونجرس العالمي للأديان، ١٩٤٠م. تم تقديم خطاب يوسف علي في ٦ يوليو ١٩٤٠م.
٧. الهلال، صحيفة الكلية الإسلامية، لاهور، اكتوبر ١٩٣٦م.
٨. كتيب الكونجرس العالمي للأديان '' حاجة العالم للعقيدة '' أكسفورد، ٢٤ يوليو، ١٩٣٧م، صفحة ٤. لاحظ يوسف علي أيضاً '' أن انستين مصيب في الغوص في أعماق نظرية النسبية في عالم علم الطبيعة.
٩. '' حاجة العالم للعقيدة '' الكونجرس العالمي للأديان، اكسفورد، ٢٤ يوليو ١٩٣٧م، صفحة ٧. المقتطفات التالية أيضاً.

المراجع:

مصادر أولية:

١-سجل إجراءات المجلس العام لانجمان -حماية الإسلام ، لاهور.

(المخطوطات للفترات ١٩٢٦/١/٣م-١٩٢٨/١٢/٢٢م-١٩٣٤/٧/١م - ١٩٣٧/٤/٢٨م)

٢-مكتبة وسجلات المكتب الهندي ، لندن.

٣- مستخلص صحيفة البنجاب ، الإصدارة ١٩٢٦/١م.

٤-الصحف والمجلات :صحيفة المكتبة ،كولينذال، صحيفة التايمز اللندية.

مصادر ثانوية :

١-اردو:

الإدارة والتحقيق.

- مكتب اسلوب ١٩٦٨م.

- منشورات سانق ميل ١٩٨٩م.

- إدارة التحقيقات.

- مركز الدراسات الباكستاني - جامعة البنجاب ١٩٨٦م.

- أخرى.